8M_22/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

2013
Faculté

شعر السّجون في الجزائر

من إعداد الطالب:
- عمر زيرق

تحت إشراف الأستاذ :
- د.عبد اللطيف شريفي

السنة الجامعية : 1432- 1433هـ .2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله أولا وأخيرا والشكر له والثناء عليه بكرة وأصيلا على ما أنعم عليّ بإنجازهذا العمل.

أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور "عبد اللطيف شريفي" الذي تفضّل بالإشراف على هذا العمل وتابع كل خطوات إنجازه وكرمه عليّ بتوجيهاته ونصائحه القيّمة في سبيل إتمام هذا العمل .

كما أشكر أساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشين على تحملهم عناء قراءة البحث وتقويمه وتقييمه.

إهداء

باسم من خلق الكون فعظمه وخلق الإنسان فكرمه أما بعد:

يسعني إلا أن أشكر من ذكر الرحمن اسمها في القرآن الكريم وأوصى إليهما بالإحسان إلى روحي ووجداني إلى جوهرتي الغالية أمي التي لن أنسى لها ما قدمته لي في حياتي والتي لم تبخل علي ولم تحرمني من أي شيء وكانت معي في السراء والضراء، وأتمنى أن يطيل الله في عمرها، دون أن أنسى أبي الكريم قدوتي في الحياة أعزه الله وحفظه.

إلى عائلتي والتي أبدأها بإخوتي: حسين،فتيحة ،جبارية، ثلجة، نورية ،روميسة.

وإلى ابن خالي محمد،عبد الله،يحيى،جيلالي،بوزيان

وإلى كل أصدقائي:"أحمد ،حسين،عمر،بلقاسم،،كمال،سليمان،سليمان بد،يونس،صالح،نجيب"

وإلى كل طلبة وعمال الإقامة الجامعية 900 سرير.

وأهدي إهداء خاص لدفعة أدب وحضارة.وإلى كل من ذكرهم القلب ونسيهم القلم.

زيرق عمر

إن الحمد لله نحمده ،ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

إنّ موضوع هذا البحث هو شعر السجون في الجزائر إذ هو ذلك الإبداع المكتوب من وراء جدران السجن في سياق معلوم تاريخيا تجلى عند الشعراء الجزائريين ،الذين ثاروا ضد المستعمر فكان مصيرهم غياهب السجن الموحشة، لقد تفرّد هؤلاء الشعراء بحب انتصار القضية في كل المواقف فكانوا طموحين ،لايكتفون إلا برؤية صورة الجزائر المستقلة فظلوا طول حياتهم في هذه السجون لا يخضعون للذل والهوان،ولا يحبون الدنيء من الأشياء ،فبقوا متحدّيين لظروفهم الصعبة،التي أظهرت شخصيتهم الوطنية فكانوا بمثابة القنديل الذي ينير الطريق.

لقد تعددت أسباب اختيار هذا الموضوع ولعل من أهمها:

1-إن البحث في موضوع شعر السجون قليل في الأجناس الشعرية ان لم نقل أنه نادر.

2- الرغبة في دراسة هذا الفن الذي ولد من رحم الثورة التحريرية المجيدة.

3- التعرف والإطلاع على بعض الأشعار التي لم يلتفت اليها كأشعار أحمد سحنون.

بعد اطلاعي على بعض الدواوين التي تخص الشعراء الجزائريين الذين جربوا السجون الفرنسية تبادرت إليّ مجموعة من التساؤلات التي تدور حول الموضوع فجاءت كالتالي:ما مفهوم شعر السجون وما هي

مراحل تطوره عبر العصور الأدبية؟وما هو شعر السجون في الجزائر؟ وماهي مواضيعه ؟وماهي خصائصه الموضوعية والفنية؟

فجاءت هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات السابقة ولإماطة اللثام على فن طالما أحسب أننا بحاجة إلى معرفته ولو من باب الاطلاع.

ولأنه لا يخلو أي بحث من صعوبات تتعرض طريق أي باحث فلقد صادفتنا ونحن نبحث عقبات جمة على سبيل المثال ندرة المراجع المتخصصة في شعر السجون ،وبالتالي صعوبة في جمع المادة ولعل أكبر صعوبة هي قضائي لفترة لا يستهان بها في المستشفى(حيث أسأل الله الشفاء لي ولجميع المرضى) وبالتالي التوقف في جمع المادة مما جعلني فيما بعد في سباق مع الزمن .

بما أن بحثنا يعتمد وبشكل كبير على المادة الشعرية فاعتمدنا على عدة دواوين منها اللهب المقدس لمفدي زكرياء وحصاد السجن لأحمد سحنون بالإضافة إلى كتاب شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر للدكتور سالم المعوش.

لقد اعتمدنا في بحثنا على عدة مناهج متكاملة كان أولها المنهج التاريخي والذي ناسب كثيرا المدخل لما فيه من دراسة تاريخية لشعر السجون ،كما ناسب أيضا الفصل الأول،أما المنهج الفني فقد ناسب الفصل الثاني لأننا قمنا فيه بدراسة موضوعية وفنية.

لقد اقتضت خطة البحث أن تشتمل المذكرة على مقدمة ،ومدخل كفصل تمهيدي،الذي اشتمل على تعريف شعر السجون ومراحل تطوره عبر العصور الأدبية،وعوامل نشأته ثم الفصل الأول والذي عنونته

بشعر السجون في الجزائر وتطرقت فيه إلى واقع الحركة الشعرية في الجزائروتطورها عبر فترات زمنية مختلفة مع التعريف بمفهوم الغربة والحنين والذي لايخرج عن مفهوم شعر السجون في الجزائر ،ثم تحدثت عن شعر السجون في الجزائر وعن أهم رواده وبينت مكانتهم.أما الفصل الثاني عرضت فيه أهم المواضيع التي كان يتناولها شعراء السجن مع التطرق الى خصائص هذه المواضيع ثم تحدثت عن أحد الجوانب الفنية وهو المعجم الشعري والصورة الشعرية مع أنني اقتصرت في دراستي هذه في الكثير من الأحيان على أحمد سحنون ومفدي زكرياء وذلك لغزارة شعرهم في هذا الجانب وهو شعر السجون.ثم توجت هذا البحث بخاتمة تطرقت فيها إلى أهم الملاحظات والنتائج المتوصل اليها.

وفي الأخير نشكر الله سبحانه تعالى الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع والمقدم مرفقا بالاعتذار عن أية هفوة أو خطأ اقترفته، لأن الكمال لله وحده،فان أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن تقصير نفسي والشيطان.

وما التوفيق إلاّ بالله،وإيّاه نسأل القوة والسداد والإخلاص لوجهه.

عمر زيرق "تلمسان"يوم 25 رجب 1433** الموفق ل:16 جوان2012

مدخل

مدخل

1) **مفهوم شعر السجون**: إن أول نظرة في المفردتين تبرز أن السّجن هو سبب هذه التسمية فمن البديهي أن يكون شعر السجون عنوانا لكل إنتاج وإبداع شعري كُتب ودوّن وراء القضبان ولا يمكننا أن نعرف مضامين هذا الشّعر إلا بعد معرفتنا لأصل السجن ونبدأ بالمعنى اللّغوي.

أ)**السجن لغة** : ورد في المعجم الوسيط عن التعريف اللغوي للفظة السجن ، "سَجَنه – سَجنا : حبسه فهو مَسجُون وسجِين جمعه سجناء و سجنى، وهِي مَسجونة وسَجينة (ج) سجنى وسَجائن. ويقال سجن لسانه. وفي الحديث:" ليس شيئ أحق بطول سجن من لسان" وسجن الهمّ لم ينشره ولم يظهره). [1]

كما جاء في لسان العرب عن السجن بفتح السّين ومصدره سجنه، يسجنه، سجناً. ويدعى بالمحبس والسّجانُ هو من يتولى أمر المسجونين وهو القائم على السجن ورجل سجين أي محبوس.[2]

أما ابن فارس فقد اعتبر أنّ السّين والجيم والنون أصل واحد يؤدّي معنى السجن بالحبس وهو الموضع الذي يُحبس فيه الإنسان.[3]

وفي التنزيل العزيز:

قال الله تعالى: ﴿ ربِّ السّجنُ أحبُّ إليّ مِمّا يدعونني إليْهِ ﴾ [4]

وتقرؤ السّجن بفتح السين أو كسره ومن هذين التعريفين السّابقين نستنتج أن السجن عموما هو مصطلح استعمله العرب للتعبير عن الحد من حرية الإنسان وتقييدها .

ويطلعنا الشّعر العربي عن شعراء السجن وهم يعانون محنة السجن فهذا عُدي بن زيد العبادي على حد تعبير أحمد صافي النجفي انّه من أوّل الشّعراء الذين كتبوا في السّجن فقد قال:

---

1) المعجم الوسيط : مجمع أساتذة اللغة العربية. مكتبة الشروق الدولية(مصر) ط 4 .2004 . ص418 .

2) ينظر لسان العرب فصل السين باب النون .لابن منظور .دار صادر (بيروت) (ط3) مج3 .1994 .ص 203 .

3) معجم مقاييس اللغة .ابن فارس تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار الجيل (بيروت) (ط.1) مج3 ،ص 137 .

4) سورة يوسف الآية (33) .

أَتَاكَ بِأَنَّنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبُ [1]

كما أن لفظة السجن ذُكرت عدة مرات في القرآن الكريم في سورة يوسف ،فقد قال الله تعالى : " ﴿واسْتَبَقَا الْبَابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيا سَيِّدَهَا لَدَا البَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.﴾[2]

وقال أيضاً:"﴿قَالَت فَذَالِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ولَقَدْ رَاوَدْتُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُره لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُوننّاً مِّن الصّاغِرِينَ ﴾."[3]

وقال أيضا: "﴿ يَا صَاحِبَيَ السَّجن ءَ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾"[4]

كما أن الحديث الشريف قد أورد هذه الكلمة .

ويُرجع الناس أن الكلمة قد استحدثتها شخصية يُقال إنها أُسطورية وهو **الضَحَّاك**.

ولا يختلف مدلولها بين العرب وغير العرب .

ب)السجن اصطلاحا : "السجن موطن آخر وهو غايةٌ في الضيق مُحكم السّدود والقيود ،أماالنِّتاج الأدبي فيه يُسمّى حصاد السِّجن ،و يُنسب إلى السجن لعلاقة السبب والمكان لأن شرطه أن يكون الشاعر سجينا حَقّا ،ويَنظمه في السجن لا خارجه ، أمّا من حيث موضوعه فهو السجن و ما يتصل به ،أو الحرية و التحرّر وما يتّصل بهما من الظّروف ،و هذا الشعر أحد شتّى أدب السجون في الأدب العربي قديمه وحديثه[5].

---

1)شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر .سالم المعوش .دار النهضة العربية .(بيروت).(د .ط).2003.ص29.

2) سورة يوسف الآية (25).

3)سورة يوسف الآية (32).

4)سورة يوسف الآية (39).

5)البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكرياء وأحمد صافي النجفي .مقران فصيح.منشورات بونة (عنابة-الجزائر) ط1 2008 ص(13).

إنّ السجن إمّا أن يكون في مُخيّلة الشعراء سجن في النفس وآخر في الأهل والمجتمع وثالث في مبنى حقيقي ،وللسجن صورٌ متنوعة سواءٌ أكانت بفعل سجّانٍ أم بفعل ظروفٍ مطلقة ،وقد تصوّر الشاعر **محمد العيد آل خليفة** السجن محابس ،وهو الذي جرّبها وقضى قرابة ثماني سنوات رهن الإقامة المحدودة قال:

فَأَعْرِضْ عَنِ الدُنْيَا لِوَجهِكَ وَإِنْ كُنْتَ طَلْقاً وَجْهَهَا غَيْرَ عَابِسِ

جَفَاهَا رَهِينَ المَحْبَسَينِ وَعَافَهَا فَكَيْفَ يُوَلِيهَا رَهِينَ المَحَابِسِ[1]

2)تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية:

لقد عرف هذا اللون من الشعر تطوّرا ملحوظا عبر سائر العصور الأدبية نظرا لما لعبه من تحسيس بقيمة وشدّة تعلّق الإنسان بالحريّة .

أ)العصر الجاهلي:

لا شك أن استقراء ديوان العرب ، يكشف لنا عن العديد من القصائد المنظومة داخل مؤسسة عقابية ، لا نجرم بأنه يصح تسميتها سجنا بالمعنى الحالي ، إذ لم يُعرف عند العرب من الجاهلية سجون مخصوصة لهذا الغرض ، فالمعاقب أو السّجين كان يُحتجز حسب ما توفره الظروف ،إما في خيمة أو في دار أو في مكان محدّد مخصص للحبس ، وإن لم يتوفر عند الجاهلين بناء مخصص للحبس فإن المفهوم المعنوي له كان حاضرا ؛ويبرز ذلك خاصة في أشعار بعض السجناء الجاهلين،

1) ديوان محمد العيد آل خليفة، تقديم: عمر بن قينة، المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر (د ط). 1992 ص(80).

الذين سجنوا لأسباب متباينة ، ومنها : الوشاية السياسية أو يكون الحبس بسبب الحروب ،فيعتقل الشعراء كأسرى حرب ،كما حدث للشاعر(**عبد يغوث الحارثى**) الذي أسره (**الاهتم**) في منزل زوجته ، بقول في أسره:

أَقَولُ وَقَدْ شدُوا لِسَانِي بِنَسْعَةِ مَعْشَرَ تَيْمٍ اَطْلِقُوا مِنْ لِسَانيَا

وَتَضْحَكُ مِنِي شَيْخَةً عَبْشَمِيَّةً كَأَنْ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانيَا

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أُقُلْ لِخَيْلِي كُرِّي كَرّةً عَنْ رِجَالِيَا

أَبَا كَرب وَ الأَيْهَمَينِ كِلَيْهِمَا وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتٍ اليَمَانَا[1]

وكان الهجاء في الجاهلية . بدوره طريقا إلى السجن، فغير بعيد عن الحيرة كان في البحرين سجنٌ ل (**عمر بن هند**) ، سجن فيه الشاعر الفتى (**طرفة بن العبد**) بعد أن هجاه ومما قاله الشاعر (**طرفه بن العبد**) في سجنه:

أَلَا اِعْتَزِلِينِي اليَوْمَ يَا خَوَلَه أَوْ غضّي فَقَدْ نَزَلَتِ حَدبَاءُ مُحْكَمَةُ الغضّ

أَبَا مُنْذَرٍ كَانَت غَرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّوعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي [2]

1) الذخيرة في محاسن أهل لجزيرة ابن بسام الشنتريني تحقيق إحسان عباس.دار الثقافة .بيروت.(ط1.)1989ص .38.

2) ديوان طرفة بن العبد تحقيق.كرم البستاني .دار صادر بيروت (دط.دت).ص 66.

ويمكن أن يكون الطريق إلى السجن بهجاء اجتماعي ، كما اشتهر عن الشاعر المخضرم . (**الحطيئة**) أو لسبب سياسي ،وهذا ما نجده لدى النابغة الذبياني ،وذلك ما تجلى في علاقته مع البلاط السياسي حيث أنه نُفي و أُفرد كما يفرد البعير الأجرب .

كما سُجن في هذا العصر شعراء آخرون أمثال : الشنفرى ،وأبو الطحّان القِسّي[1]

ب) **شعر السجون في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي**:إن المدونة العقابية التي كان يستند إليها التشريع الإسلامي هي القرآن الكريم ،والسنة النبوية، ثم اجتهاد الفقهاء ،ولعل أبرز مبادئ هذه المدونة هو القصاص بعد ثبوت الإدانة، لذلك لم تكن هناك حاجة ماسة للسجون إلاّ للمخالفات التي لم تضع لها الشريعة حدّا . "وأول من بنى السجون هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ،فإنه بنى نافعا وبنى المخيس .وهو الذي يقول :

كَيْفَ تَرَانِي كَيِّساً مُكَيَّساً بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُحَيساً

سِجْناً حَصِيناً وَأَمِيراً كَيِّسَاً[2]

كما أن الخمر كان سببا في للدخول إلى السجن في صدر الإسلام ، وبعده في زمن الخلافة الإسلامية وتكثر الأمثلة على ذلك ، نذكر منها: (**أبومحجن الثقفى**) الذي سجنه الخليفة (**عمر بن الخطاب**)

---

1) شعر السجون في العصر الحديث والمعاصر.د.سالم المعوش .ص43.

2) ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيت عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني .شرح أبي سعيد السكري .دار صادر (بيروت) . (د.ط).1981.ص164.

بسبب معاقرته للخمر ، إذ نهاه عمر مرارا فلم ينته ، فنفاه إلى جزيرة هرب في طريقه إليها ، والتحق بـ (**ابن أبي وقاص**) فكتب إليه عمر يأمره بحبسه ، فأنشد يقول:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرْدِي الخَيْلَ بِالقَنَا وَأُتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَـاقِيَا

إِذَا قُمْتُ عَلاَنِي الحَدِيدُ وَغُلِّقَت مَصَارِيعُ مِنْ دُونِي تَصُمُّ المُنَادِيَا

..... وَللهِ عَهْدٌ لَا أَخِيسُ بِعَـهْدِهِ لَئِنْ فُرِجَتْ أَلَّا أَزُورُ الحَوَانِيَـا [1]

وكان (**عمر**) يستعين بالآبار المهجورة لحبس الأشخاص ، مثل (**الحطيئة**) الذي حبس في بئر فقال :

مَاذَا تَقُولُ لأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ زُغْبُ الحَوَاصِلِ لاَ مَاءٌ وَلاَ شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَا عُمَرُ[2]

إن سجون بني أمية تميزت بالكثرة والتنوع بسبب تزايد الخصومات السياسية والقبلية والمذهبية، فسواء في عهد (**معاوية**) أو (**يزيد**) ، فقد سجن الكثير من الخوارج والعلويين.

وتوالى سجن المعارضين في الولاة بعدهما ، إلى أن بلغت العناية بالسجون أشدها في عهد (**الحجاج بن يوسف التقفى**) الذي اعتنى ببناتها وتفنّن في تنظيمها ، ونسبت إليه سجون كثيرة ، فلا غرابة في ذلك وهو المعروف ببطشه .كما أن السجون في عصر بني أمية قد كانت مستقرا دفعت إليه المذهبية

1)الحبسيات في الشعر العربي الحديث .سكينة قدور. معهد اللغة العربية وأدابها جامعة متنوري قسنطينة(د.ط).2007. ص21

2) ديوان الحطيئة .ص164.

الدينية فكانت بابا واسعا دخل منه الكثيرون إلى السجن، هذه المذهبية التي ضمت الدين والتعصب والشعوبية والزندقة والصراع على السلطة والتمرد والثورة.[1]

ت)شعر السجون في العصر العباسي: لقد عرفت مؤسسة السجن في هذه الدولة تغييرا جديدا وضوابط صارمةٍ وتنظيما محكما حسب قوانين هذه الدولة التي عرفت مزيدا من القوانين والدارس للأحوال العامة لهذا العصر يجد أسبابا لنمو ظاهرة السّجن، ففي تطوره لم يخل من الحروب والقمع والإرهاب والتمرد وهذا ما دعى اليه الشعراء فكان السجن من نصيبهم وقد جمع السجون الكثير من هؤلاء الشعراء نذكر منهم المتنبي على سبل الكثير من الشعراء المثال الذي دفع به طموحه وغروره نحو المجد والشهرة الى السجن إلا أن الشاعر يتحلّى بالصبر لأن هذا قضائه وقدره فيقول:

كُنْ أَيُّهَا السِجْنُ كَيْفَ شِئْتَ وَظَنَنْتَ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ

لَوْ كَانَ سُكَنَايَ فِيكَ مُنْقَصَةً لَمْ يَكُنْ الدُرُّ سَاكِنُ الصَّدَفِ[2]

إن إحصاء أدباء السجون في العصر العباسي يكشف عن عدد هائل من هؤلاء الشعراء يقارب حسب إحصائيات (**عبد العزيز الحلفي**) [3] الأربعين شاعرا من بينهم أبو فراس الحمداني وأبو نواس وغيرهم.

---

1) الحبسيات في الشعر العربي الحديث سكينة قدور. ص21.

2) ديوان أبي الطيب المتنبي .شرح أبي البقاء العكبري.دار المعرفة.بيروت.(د .ط).1978ص280.

3) هوصاحب كتاب (أدباء السجون).

ولعل الشاعر **ابن زيدون** أحد الشعراء الذين تعرضوا للسجن بسب اتهامه بمحاولته القضاء على دولة **أبي الحزم بن جهور** ،أما شعره السجني فكان في أغلبه مدح ورجاء واستعطاف، لكنه أحيانا يتأثر من وضعه المزري ومن شماتة الآخرين فيقاوم ويتحدى:

مَنْ يَسْأَلْ النَاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهَا مَحَضُ العَيَانِ الذِي يُغنِي عَنْ الخَبَـرِ

لَا يَهْنَئُ الشَامِتُ المَرْتَاحُ خَاطِرُهُ إِنِّي مَعْنَى الأَمَانِي ضَائِعَ الخَطَـــرِ

هَلْ الرِيَاحُ بِنَجْمِ الأَرْضِ عَاصِفَةٍ أَمِ الأَكْوَانُ لَغَيـرِ الشَمْسِ وَالقَمَرِ

إِنْ طَالَ فِي السِجْنِ إِيدَاعِي فَلَا عَجَبٌ قَدْ يُودَعُ الجَفَنَ حَدُّ الصَارِمِ الذَكَرِ (1)

ويقول أيضا في احدى قصائده مخاطبا **أبا الحزم** بعدما مضت عليه خمسمائة يوم في السجن:

أَفَصَبْرَ مِئَينِ خَمْسًا مِنَ الأَيَّا مِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ

وَمَعْنَى مِنَ الضَنَا بِهَنات نَكَأَتْ بِالكُلوم قَرْحَ الكَلُومِ (2)

كما أنه يمكننا الاستشهاد بشعر **أبي فراس الحمداني** الذي تميز بالغزارة والتنوع وذلك لطول مدة الأسر والسجن ، فكانت مواضيعه تتأرجح بين الشكوى ووصف الأحوال ، وبين التحـــــدي والكبرياء ؛فعندما اشتدت عليه جراحه راح ينشد:

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالعَزَاءُ جَمِيل وَظَنِّي بِأَنَّ اللهَ سَوْفَ يُدِيلُ

---

1) ديوان ابن زيدون.شرح وتعليق كرم البستاني.دار صادر بيروت(د.ط).1978 ص .148،149 .

2) المصدر نفسه ص149.

جِرَاحٌ تَحَانَاهاَ الأَسَاةُ مَخُوفَة وَسُقْمَانُ:بَادَ مِنْهاَ وَدَخِيلُ

وَأَسْرٌ أُقَاسِيهِ وَلَيْلٌ نُجُومُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرُهُنَّ يزُولُ

تَطُولُ بِيَ السَّاعَاتُ وَهْيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لاَيَسُرُّكَ يَطُولُ

تَنَاسَانِي الأَصْحَابُ إلاَّ عُصَبْيَةٌ سَتَلْحَقُ بِالأُخْرَى غَدَا وَتَحُولُ

أَكُلُّ خَلِيلٍ هَكَذَا غَيْرُ مُنْصِفٍ وَكُلُّ زَمَانٍ بِالكِرَامِ بَخِيلُ

فَيَاَ حَسْرَتَا مَنْ لِبَخِيلٍ مُوَافِقٌ أَقُولُ بِشَجْوَى مَرَّةً ،وَيَقُولُ

وَإنَّ وَرَاءَ السِّتْرِ أُمًّا بُكَاؤُهاَ عَلَيَّ وَإنْ طَالَ الزَّمَانُ طَوِيلُ

وَيَا أُمَّةً لاَ تُخْطِئِي الأَجْرَ إنَّهُ عَلَى قَدْرِ الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَزِيلُ [1]

الملاحظ على شعر السجون في الأدب العباسي أنه تطور بتطور الحياة العامة، وشمل هذا التطور تعميق ، واستحداث موضوعات جديدة اقتضتها الحياة الجديدة؛ والتي جاءت أغلبها في صفوف المعارضة."وفي كل ذلك عبر الشعر المتصل بهذه الأحداث عن آلام السجن ،ونجد من بين الذين تعرّضوا لعقوبة السجن عددا كبيرا من الشعراء ؛لأنّهم كانوا دائما في صفوف المعارضة ،و إنما لأن الشاعر كان في الوقت في نفسه شخصية سياسية يصيبه ما يصيب رجل السياسة عند تقلّب الأوضاع واصطدام المطامع، المتباينة واضطراب الأهواء من حال إلى حال." [2]

1) ديوان أبي فراس الحمداني شرح وتقديم عباس عبد الساتر .دار الكتب العلمية .بيروت.(ط.5). 2003 ص 136.135

2) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة.د إحسان عباس.دار الثقافة لبنان.بيروت.(ط.2)،1969.ص100.

ج)شعر السجون في عصر النهضة:

إن نشأة شعر السجون في عصر النهضة العربية كانت نتيجة حتمية لعدم استقرار المجتمع العربي، **وأديب إسحاق** (1856-1885).كاتب وشاعر متلهب الذكاء ، عجيب الذاكرة ، ساهم في رفع لغة الصحافة ،لكن علّة الصدر لم تمهله كثيرا فمات في الحدث بلبنان ، من أشهر مؤلفاته (**الدُّرر**) وهي منتجات من أشعاره وخطبة ومقالات ؛ فالشاعر رفض العيش في ظروف ميزتها الاضطرابات،وجاء الشاعر في مقدمة الرافضين لتلك الأوضاع؛ فكان الشاعر يمثل منعرجا حاسما، ونقطة هامة في تاريخ الصراعات الفكرية ؛فقد حمل بأفكاره الخاصة موضوع الحرية ،والديمقراطية والعدل، والمساواة.، وإذا أردنا تعداد الموضوعات الخاصة بشعر السجون في هذه الفترة، لوجدناها لا تخرج عن مواضيع الظلم والاستبداد والحرية والأوضاع الاجتماعية والسياسية وقضايا الاستعمار وقضية الأرض والوطن والهوية وغيرها.

ومن بين شعراء السجون في عصر النهضة نجد الشاعر(**أديب إسحاق**)[1] والذي سجن بسبب تنديده الدائم بالظلم ومناوئته للاستعباد والاستبداد ،فهو في أحد قصائده يخاطب (**محمد سلطان باشا**) الذي دفع به إلى السجن.

أَمَوْلاَيَ هَذَا نَظْمٌ حُرٌّ وَتَلْوُهُ كَلاَمٌ سَجِينٌ أَوْثَقَتْهُ الأَمْرُ

1)أديب أسحاق (1856-1885).كاتب وشاعر متلهب الذكاء . عجيب الذاكرة . أسهم في رفع لغة الصحافة، لكن علّة الصدر لم تمهله كثيرا فمات في الحدث بلبنان .من أشهر مؤلفاته (الدُرَر) وهي منتجات من أشعاره وخطبة ومقالات

أَيُبْعَدُ ذُو فَضْلٍ وَيُدْنَي مُنَافِقٌ وَسَجِينٌ وَافٍ حِينَ يُطْلَقُ غَادِرُ

وَيُكْرَمُ جَاسُوسٌ مِنَ الصِّدْقِ حَائِدٌ وَيُظْلَمُ هُمَامٌ عَلَى الحَقِّ سَائِرُ[1]

كما أن هناك مفكر وشاعر سُجن لآرائه السياسية ومناداته بالحرية وهو (**العقاد**) والذي عرف بدعواته التحريضية الصريحة،ونقده الشّديد الموجه إلى الحكام أحد أهم الأسباب التي عجلت بدخوله إلى السجن. وقد أرخ (**العقاد**) لهذه التجربة في كتابة (**عالم السدود والقيود**) حيث عرف فيه تجربته السجنية قائلا: "عالم السدود والقيود، عندي وعند كل عابر سبيله، هو ذلك الثناء المعزول في ناحية من الأطراف، وفي بعض الأحيان القاهرة الواسعة الكثيرة وكأنه يحس نقرة الناس ونقدته من الناس."[2]

وإذا تفحصنا قصيدة **القلم المسروق** لوجدنا **العقاد** يأسف لفقدان حريته فهو يعبر عن ذلك عن طريق التلميح بفقدان قلمه كمال يعبر عن استيائه لمصير شعبه خارج السجن ،فهو يقول في مطلع قصيدته:

زَامَلَنِي فِي السِّجْنِ ذَاكَ القَلَمُ وَكَأَنَّهُ مَا نَالَنِي مِنْ قَسَمِ.

وَمَـــــسَّ مِنْ فِكْرِي وَأَسْرَارِهِ مَا رَامَهُ النَّاسُ وَلَمْ يُرَمِ.[3]

[1] شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر.سالم المعوش.ص58

[2] عالم السدود والقيود.عباس محمود العقاد.منشورات المكتبة المصرية(د.ط).(د.ت) ص05

[3] ديوان العقاد.عباس محمود العقاد .منشورات المكتبة المصرية(د.ط).(د.ت) ص07

وفي الأخير يمكن القول بأن موضوع شخصيات هذه الفترة الأدبية قد تنوعت وتعددت وأنها ألقيت جميعها تحت عنوان واحد هو المناداة بالحرية ورفض الظلم والاستبداد ورفض الإذلال وهذه الموضوعات يمكن الجزم بأنها السبب وراء سجن العديد من الشعراء.

ح)شعر السجون في الأدب العربي الحديث :

لقد كان للحياة السياسية أثر بارز في حياة الشعراء المعاصرين فعبروا عن أفكارهم ومواقفهم بكل حرية وهذا ما كان يراه الكثير من الحكام بأنه تمرد وخروج غير مشروع عن سياسة الدولة فكان مصير هؤلاء السجن.

لقد تعددت موضوعات شعر السجون في هذه الفترة فكان من أهمها الظلم والذي تعدد هو الآخر ، فكان الظلم الاجتماعي والفكري والظلم الإنساني والذي كان يحرم الشاعر من حقوقه. فكان هذا الظلم أحد مظاهر العبودية [1].

ولعل أكبر تجربة شعر السجون كانت في المغرب العربي؛ إذ أن الشعراء قد أنشدوا قصائدهم في ظروف قاسية دعت إليها نيران القهر والتسلط فكان الكفاح الذي خاضه الشعب ضد المستعمر في هذه البلدان كفاحا مريرا،ولعل أهم تجربة شعرية، هي تجربة الكفاح الذي خاضه الشعراء الجزائريون ضد المستعمر الفرنسي.

[1] ينظر: شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر. د. سالم المعوش ص173.

3)عوامل نشأة شعر السجون:

لقد اختلفت أسباب السجن وتعددت فمن الشعراء من كان يستعطف الحكام ،وهناك من كان يعبر عن ما في خوالجه ،وهناك من كان يرى الحق في نفسه فكان متهكما على ظالميه في شعره وهناك من الشعراء من اكتفى بالتحسّر على حالته. ومن أهم عوامل نشأة شعر السجون هو الدعوة إلى الحـــق فلقد كان الشعراء يدعون إلى ضرورة المساواة الاجتماعية ،والتعقل.

وهناك من الشعراء منهم من وصف فنون البؤس ،وألوان العذاب ، وتنصل من كل ذنب وأقســـــم بالإيمان المغلظ وطلب الرحمة من الحاكم ومنهم من نادى بالحرية وتحدى السجن[1] فالشاعر كان يعبر عن حق شعبه وهذا ذهب إليه شاعر الثورة (**مفدي زكرياء**).

حَسْبِي وَحَسْبُ أُنَاسٍ إنْ غَدَوْتُ لَهُمْ عُودًا يُعَطِّرُهُمْ ذِكْرِي وَأَحْتَرِقُ.

وَأَنْتَ يَا سِجْنُ لَوْ أَفْلَلْتَ نَاصِيَتِي رَأَيْتَنِي لِخُطُوطِ النَّارِ أَخْتَرِقُ[2].

---

[1] ينظر البناء اللغوي لشعر السجون: مفدي زكرياء وأحمد صافي النجفي لمقران فصيح: منشورات بونة عنابة (ط1).2008 ص13.

[2] ديوان اللهب المقدس مفدي زكرياء المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (ط2) 1991 ص09.

الفصل الأوّل

الفصل الأوَّل

تمهيد

واقع الحركة الشعرية في الجزائر

شعر السجون في الجزائر

أهم شعراء السجن في الجزائر

مكانتهم

تمهيد:

لقد كانت فرنسا تبرر احتلالها للجزائر بأنها رسالة تثقيف الشعب الجزائري ،ولكن في حقيقة الأمر كان العكس من ذلك ،وهذا يبين أن الجزائر كانت ميدانا للاضطهاد الفكري الذي قضى بتأخر نهضتها في مختلف المجالات ،ومنها **الأدب**.

إن بوادر النهضة بدأت تظهر في منتصف العشرينيات من هذا القرن حيث شهدت هذه السنوات محاولات جادة لنسف غبار التّأخر ،والجمود والدعوة إلى التجديد في مختلف مجالات الحياة والأدب

ومن أهم عوامل النهضة فقد تمثلت في:

(جهود علماء الإصلاح العائدين من المشرق وتونس :والمتمثلة في تخليص الجزائر مما علق بها وفي درس حالتها درسا موضوعيا شأنيا وتبيين وسائل علاجها).[1] عاد مثلا الشيخ **الطيب العقبي** من الحجاز **وعاد البشير الإبراهيمي** من الشام، **وعاد العربي التبسي** من الأزهر بمصر وكلهم عادوا في فترة متقاربة، ليكتمل بهم العدد لمجموعة أخرى سبقتهم إلى ميدان العمل لقربهم منه ومنهم **الشيخ عبد الحميد بن باديس** في قسنطينة ،**ومبارك الميلي** في ميلة وكانت أنشطتهم متنوعة وضخمة

ومنها:

1/ **الصحافة**: أعطى علماء الإصلاح أهمية بالغة للصحافة ،وبينوا دورها الهام والأساسي في حماية الشعب وإنقاذه من المخاطر فعمدوا إلى إنشاء الصحف الوطنية التي تعمل على نبذ الخرافات والبدع

[1] جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر الحاجري محمد طه، معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة (د.ط)1968 ص109.

والدعوة إلى التربية والتعليم والأخذ بمنافع الحضارة الأوروبية فقط وقد صدرت مثلا جريدة الإصلاح سنة 1927 في بسكرة وأصدرها **الشيخ الطيب العقبي** بعد عودته من المشرق. وفي أوسط العشرينيات تطالعنا الصحيفة للمناضل (**أبو يقضان**) والتي استهلها بجريدة (واد ميزاب في 1926) وبعدها جاءت مجلة الشهاب سنة 1926 مجلة أسبوعية لتتحول فيما بعد إلى مجلة شهرية.

2/ **نادي الترقي**: جاء كفكرة **لتوفيق أحمد المدني وأحمد المرابط** حيث عمد هذين الرجلين إلى جمع عدد كبير من المصالين أمثال **محمود بن ونيش الحاج وعمر بن الوهوب**....)، وتفاوضوا فيما بعد على إنشاء نادي يجمع كلمة المسلمين ويحارب الطائفة التي تحاول تمزيق الجزائر وتثقف الناس بثقافة الإسلام ومحاربة التفرنس.

1)واقع الحركة الشعرية في الجزائر:

أ)في سنوات العشرينيات:في بداية العشرينيات كانت الجزائر قد وصلت إلى منعطف خطير من التدهور الاجتماعي الذي أصبح يهدد كيان هذه الأمة بالزوال، فإضافة إلى انتشار الفقر والبطالة والجهل كان المجتمع الجزائري قد أصبح فريسة لإقطاع الاستعمارية ينهب الأرض ،وإقطاع ديني يستنزف عقول الشعب بالتعاون مع المستعمر فكان نتيجة ذلك هذا الطابع التشاؤمي الذي غلب على قصيدة العشرينيات ولا يسع شاعرا رقيق الإحساس إلى البكاء على هذه الأمة ؛ وفي ذلك قال رمضان حمود:

بَكَيْتُ وَمِثْلِي لاَ يَحِقُّ لَهُ البُكَا عَلَى أُمَّةٍ مَخْلُوقَةٍ للنَّوَازِلِ.

وَلَمْ أَبْكِ جُبْناً أوْ مَخَافَةَ نَاطِقٍ فَلِي هِمَّةٌ مُنْتَاهَةٌ لِلْجَلاَئِلِ.

بَكَيْتُ عَلَيْهاَ رَحْمَةً وَصَبَابَةً فَإنِّي عَلَى ذَاكَ البُكاَ غَيْرُ نَادِمِ.

ذَرَفْتُ عَلَيْهاَ أَدْمُعاً مِنْ نَوَاظِرٍ تُسَاهِرُ طُولَ اللَّيْلِ ضَوْءُ الكَوْكَبِ.[1]

ويقف **الطيب العقبي** عند هذه الحالة محاولا مستنهضا القوم من سباتهم ،ومذكرا إياهم بمجد الأجداد الذي أصبح منسيا:

عَرِّجْ عَلَى قُطْرِناَ وَانْظُرْ لِحَالَتِهِ فَحَالَهُ اليَوْمَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ تُخْزِيناَ

يَا مَعْشَرَ القَوْمِ هُبُّوا مِنْ سُبَاتِكُمُ طَالَ الزَّمَانُ وَكَمْ غَنَّى مُغَنِّيناَ

وَلاَ سَمِيعٌ لَناَ مِنْكُمْ، وَكُلُّكُمْ أَصْبَحْتُمُ لِقَدِيمِ المَجْدِ، نَاسِيناَ[2]

وإذا كانت هذه النزعة التشاؤمية سمة عامة عند الشعراء إلا أنه سرعان ما قامت الأصوات الشعرية تستنكر هذا الإتجاه السلبي الذي لا يجدي شيئا داعية إلى القضاء على الدّاء الذي استفحل. وهذا لا يتأتى إلى بالعمل وفي هذا قال **السعيد الزاهري**:

وَرُبَّ بَاكٍ عَلَى المَاضِينَ إنَّ البُكاَءَ لِشَأْنِ الفَرْدِ الغَيْدِ.

هَيَّا إلَى عَمَلٍ يُجْدِي فَحَاجَتُناَ إلَى أَخِي عَمَلٍ بِالعَزْمِ مَعْضُودِ.[3]

---

1 شعراء من الجزائر .صالح خرفي معهد البحوث والدراسات العربية (د.ط)1969 ص123.

2 شعراء الجزائر .محمد الهادي الزاهري المؤسسة الوطنية للنشر(د.ط) 1926 ج1 ص132.

3 شعراء من الجزائر .صالح خرفي ص29.

ب) فترة الثلاثينيات:لقد جاءت هذه الفترة معلنة عن النهضة الإصلاحية بشكل رسمي وذلك بتأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين فتولدت في النص الشعري روح جديدة يحدوها الأمل ،ويقرها الانبعاث الفكري فتمت صوت المناحة وقرة العين بدمعتها.

وشهدت هذه المرحلة اصطداما عقائديا بين الحركة الإصلاحية وخصومها واصطداما آخر مع المستعمر ،وكان الشعر الذي ارتبط بالفكر الإصلاحي ،لأسباب منها أن دعاة الإصلاح احتضنوا التراث والأدب واللغة العربية فقد أصبح من أنجع الأسلحة في هذا الميدان كما خاض الشعر في الميدان الاجتماعي بمجالاته الواسعة .ومن المواضيع التي تناولها الشعر في هذه الفترة "المفارقات العجيبة التي يزخر بها المجتمع بين رأسمالية طاغية دخيلة وموطن مسخر مضطهد وما يتفرغ .عن هذين الاتجاهين من حياة الترف والبذخ والعمارات الشاهقة والمزارع المترامية والمدارس المفتوحة والوظائف المضمونة من جهة ،وحياة الشقاء والتعاسة والأكواخ والتشرد في الطرقات ومن جهة أخرى وقصيدة أيها (الرافعون القصور) زاخرة بهذه المفارقات.[1]

فَشاَ الجُوعُ وَاشْتَدَّ عُسْرُ المَعَاشِ وَعَادَتْ سِنُو يُوسُفَ الغَابِرَه.

مَتَى سَتَظَلُّ بِظِلِّ النَّعِيمِ مَسَاكِينَ يُصَلُّونَ بِالسَّاهِرَه.

تَفَاقَمَ كَرْبُ الفَقِيرِ الكَسِيرِ أَمَا عِنْدَكُمْ مِنْ يَدٍ حَابِرَه.

فَيَا أَيُّهاَ الرَّافِعُونَ القُصُورَ إِلَى الجَوِّ فِي الأُمَّةِ القَاصِرَه.

وَيَاَ أَيُّهاَ الوَادِعُونَ النِّيامْ عَلَى الخَزَفِ السُّرَرَ الفَاخِرَه.

[1] تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 الوناس شعباني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر(دط.دت)ص19.

وَمَنْ يَعُدُّ كُؤُوسَ الشَّرَابِ وَيَنْعَمُ بِالأَوْجُهِ النَّاضِرَه.

وَيَا مَنْ تَرِفُّ عَلَيْهِ الوُرُودُ وَتُنْفِحُهُ السُّمْنَةُ العَاطِرَه.

أَلَا تَذْكُرُونَ حُفَاةً عُرَاةً أَصَابَهُمْ الفَقْرُ بِالفَاقِرَه.

شَكَا الطِّفْلُ حَرَّ الطَّوَى وَاسْتَغَاثَ وَطَافَتْ يَدُ أُمِّهِ حَائِرَه.

أَلاَ مَنْ يُجِيرُ فُؤَادَ الصَّغِيرِ وَيُسْكِنُ لَوْعَتَهُ الثَّائِرَه.

تَقُولُ ارْحَمُوا ذَلَّتِي يَا رِجَالَ أُعْزُوا كَرَامَتِي الصَّاغِرَه.[1]

ولما دخل الشعر المعركة السياسية فكانت رسالة الشاعر بث الوعي السّياسي في طبقات الشعب والتصدي للمعارضين – لمصلحة الشعب وحقوقه — من الاندماجيين واقترنت هذه الفترة (**فترة الثلاثينيات**) بوصول الحزب اليساري الفرنسي إلى الحكم والذي كان الأمل الأخير للمصالح الجزائرية وفي هذه الفترة اتجه وفد من حوالي ثلاثين جزائري من أجل المقابلة والمطالبة بالحقوق، والشاعر هو الآخر كان لا يزال يؤمن بوعود فرنسا لكنه إيمان مشوب بالحذر والخيبة.[2]

ت) فترة الأربعينيات: لقد كانت حوادث **8 ماي 1945** نقطة هامة في تحول تاريخ الجزائر السياسي؛ إذ أن هذه حوادث **8 ماي** نشطت حركة الكفاح السياسي، أما عن القصيدة فكانت محتجة في وطنيتها مدوية في صرختها طموحة في غايتها وأهدافها؛ حتى كادت تلامس انطلاق الثورة قبل سنوات وغاصت في القصيدة الملامح الدينية ،والإرشادية لتكسو كل لافتة تاريخية أو مناسبة

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة الؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة البعث قسنطينة 1968 ص250.

[2] تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 الوناس شعباني ص20.

دينية أو مشروع ثقافي، صبغة النضال السّياسي، والمصير الحتمي للثورة ،وقد عاودها نتيجة ذلك الأسلوب الحماسي الذي غذته معاني الحرّية، والاستقلال فجعلته أكثر إثارة ،وأشد وقعا على النفوس؛ ويعتري في بعض الفترات الخانقة، الصّمت ،والانطواء فيزداد بها المضمون السّياسي الكامن حدّة وعنفا حتى إذا ما طاوعه البوح، انفجر لا يلوى على شيء كموقف الشّعر من حوادث ماي التي لم يعالجها إلّا باسم الذكرى[1] .

إذن فالقصيدة الشعرية قد عرفت تطورا شكليا ومضمونا ساير الأوضاع السائدة في هذه الفترة.

ث)فترة الخمسينيات:

كان للوضع الاقتصادي في بداية الخمسينيات انعكاساته الوخيمة على المجتمع ،وكان من نتائجه الفقر ،والجوع ،والأوبئة والتي كان ضحيتها الآلاف من البشر ،وكان المستعمر يرعى بنفسه هذه الأوضاع السيئة ،والشّعر خير مرآة عاكسة لهذه الأحداث الاجتماعية.و من المواضيع التي كان يعكف عليها الشاعر الجزائري طويلا هي الفقر والبطالة وغيرها).[2]

(ومن جهة أخرى إن ثورة نوفمبر استوقفت الشّعر العربي عامة ،والشّعر الجزائري خاصة، فالشعر الجزائري قد عاش الثورة مخاضا بالشّعر في هذه الفترة فكان يقف موقف إشعال الفتيل.

---

[1] شعراء من الجزائر. صالح خرفي ص28.

[2] تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 الوناس شعباني ص36.35.

وكانت الثورة منعرجا رئيسيا في مضمار الشّعر الجزائري والذي اقترب إلى الطمأنينة والاسترخاء وجمع الأنفاس.)[1]

ويلخص**دكتور صالح الخرفي** حال القصيدة في هذه الفترة يقول :كان الشّعر في السّنة الأولى للثورة ذو أبعاد كثيرة حاول أن يستعيض قصوره في قيد الأوامر الملحمية بتصعدها في آفاق روحيّة تتجاوز الواقع الحي وتعلو عليه وظهرت لنا صورة أدبية بطولية. إن لم تشاهدها الأحداث المتعاقبة على التكامل الفني فإنها لم تحرمها من صدق الإحساس ونيل المضمون وقد تفنن الشّعر في عرض هذه البطولات تصعيدا لها وتطويرا لواقعها [2]

فالقصيدة الخمسينية كانت ثورية المضمون ملحمية الشكل.

ج) **فترة الستينيات**:يمكن القول أن التجربة الشّعرية مع قلتها في الستينيات قد واكبت ميلاد الجزائر الشّابة ،وهي تخرج من حرب ضروس ،ولقد كان لهذه الحرب انعكاساتها فولّدت صراعات سياسية واجتماعية انعكست هذه الصراعات على التجربة الشعرية .ويمكن القول أن هذه الأخيرة وصفت لنا المولود الجديد وهو يشق طريقه بخطوات عملاقة مستصغرا ما يحيط به من عراقيل وليدة الاستعمار.[3] كما أن هذه الفترة مثّلت للجزائر قمة لتاريخها البطولي لأنها استطاعت بتضحياتها أن تقضي على المستعمر بالرغم من قوته وجبروته فيقف الشعر منها موقفه من إشراقة الثورة، موقف فيه الثورة والرهبة والخشوع فالدماء لا تزال ندية والأرواح لم يكد يهدأ لها خفقان، فتعيد بسمة النصر في موكب

---

[1] شعراء من الجزائر. صالح خرفي ص28.

[2] المرجع نفسه ص29

[3] تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 الوناس شعباني ص126.

موكب الشهداء ،وتنتهي الملحمة غداة ،وقف إطلاق النار نهاية متعثرة من ،وفاء المواطن ،وغدر المنتحر... ويلوح عهد جديد تكتنفه رهبة المجهول[1]

ومن القضايا التي عرفتها هذه المرحلة هي قصيدة الانقطاع ،والتوقف المفاجأ عن العطاء عند الكثير من الشعراء مباشرة بعد الاستقلال فلم يستمر جل الشعراء في الإنتاج ،والمساهمة في بناء مرحلة جديدة علما أن بعضهم واصل طريقه إلى النهاية ومن هؤلاء **أبو القاسم الخمار**. أما الآخرون فيمكن القول أنهم لم ينفعلوا بالتحولات الاجتماعية ،والسياسية ،ويمكن أن نعلل هذا الانقطاع بأنهم انبهروا بأضواء الحرية التي كانوا يحلمون بها فأصابتهم هذه السكتة الشعرية ،لأن أشعارهم قبل هذا كانت تفيض بالروح الوطنية.

وفي الأخير يجب أن نشير إلى أن الشعر الجزائر – قبل الاستقلال لم يخرج عن مفاهيم **الغربة والحنين** -فقد وجدنا الشعراء إما غرباء روحيا أو نفسيا أو فكريا حيث صوروا بمجموعة من العادات الفاسدة التي أدخلها الاستعمار إلى الشعب عنوة ،وهذا النوع من الغربة نجده عن شعراء الإصلاح ولهذا قبل أن نتحدث عن شعر السجون في الجزائر علينا أن نتحدث عن **الغربة والحنين** في **السبعينات** لأنها إحدى مميزات الشعر الجزائري ،كون هذا الأخير قبل فترة الاستقلال لم يخرج من هذين المفهومين. وهكذا فإن الإحساس بالغربة عاد إلى الظهور وبصفة أكثر لا سيما في السنوات 1945/1954. بعد أن قضت الجمعية عليها نشاطها الروحي ،والفكري ،ولم تأتي السنوات السابقة بأكثر من هذا الإحساس فقد جاء الصراع بين الأحزاب ليسيطر على الجو العام ،ويثير العزلة في أوساط الأدباء

[1] الشعر الجزائري الحديث. صالح خرفي المؤسسة الوطنية للكتاب(دط)1985 ص22.

والشعراء ،ويعمق فيهم الشعور بالغربة ،ومما زاد في طغيان هذا الإحساس هو الصراع الحزبي ليشمل الشعب الأمي الذي يحوّل إلى مجموعة من المستمعين مهللين للخرفات.

ومما آلم هؤلاء الشعراء والأدباء أكثر أن بعض الجرائد والمجلات هجرت كل ما يهم الوطن المحتل وانتقلت إلى لغة السياسة والشعارات السياسية ؛والتي لا تنظر إلى ما يعانيه أبناء الوطن من غربة في عقر دارهم يقول مولود قاسم في مقال كتبه في القاهرة عام 1953 :

إن الذي يقرأ هذه الجرائد أو يلقي نظرة على عناوينها لا يكاد يخطر بباله أنها جزائرية ماعدا عناوينها – أقصد عناوين الإدارات لا الموضوعات – وأنه ليستغرب أيضا هذا الإجماع وهذه الوجهة العجيبة التي ليس لها نظير في العالم)[1]ولقد أحس بذلك الجحود الذي دفعهم إلى لون من الغربة الروحية والفكرية ودس هنا ،والفكرية، ومن هنا فإن الأمر الأساسي (الاستعمار) قد وجدت معه مؤشرات أخرى محلية ساعدت في أذكاء شعر الغربة لا سيما ما تعلق منها بالصراعات السياسية القائمة بين مجموعة من الأحزاب.

وقد أحس بعض الشعراء مثل **عبد الله شريط وسعد الله ومحمد العيد وأحمد سحنون ومفدي زكرياء** بسخط عنيف عند هذه الأفكار، بل بكراهية بالغة أحسوا بها بأن أرواحهم غريبة وأن أجسامهم وواقعهم المادي يعيشان في واد، بينما القلوب والأرواح تهيم في واد آخر، ولم يناورهم هذا الإحساس إلا بعد قيام الثورة التحريرية 1954 إذا انتموا إليها واتحدت أصواتهم بأصوات الثورة وقصيدة الغربة في الجزائر تبرر جانبا من تجربة الغربة التي عاش الشعب ويلاتها في ظل الاستبداد

[1] الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث.عمر بوقرورة.منشورات جامعة باتنة(د.ط)1997. ص84.

الفرنسي وهذه التجربة التي وصفها أبو القاسم سعد الله بقوله: "لم تكن يوما تجربة إنسانية يتحكم فيها الضمير وتصونها الحضارة ولكنها تجربة الذئب مع الحمل تتحكم فيها شهوة القتل والدمار والحقد الأسود".[1]

وبعد تفكير في هجرة الوطن والفرار منه أقوى إحساس بالغربة خاصة إذا كان الوطن نهبا للمستعمرين وماذا يكون الوطن إذا لم يحقق فيه الإنسان مسكنته وعزته وشرفه بل ماذا يكون الوطن إن لم يشعر فيه الإنسان بإنسانيته التي تتأمل فيه من خلال الأرض يقول مبارك جلواح:

يَا بِلاَدًا أَعِيشُ فِيهَا غَرِيباً وَأَنَا مِنْ بَيْنِ أَبْنَائِهَا الأَمْجَادِ.

وَيَعِيشُ الغَرِيبُ فِيهَا عَزِيزًا وَهْوَ يَسْعَى لِذُلِّهَا فِي العِبَادِ.

الوَدَاعَ، الوَدَاعَ يَا خَيْرَ أَرْضٍ دُفِنَتْ فِي تُرَابِهَا أَجْدَادِي.[2]

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية لتضاعف إحساس الإنسان الجزائري بالغربة في وطنه وتضيف إلى مأساته المتمثلة في حرمانه من لغته ودينه وأرضه فصلا يمثل أعنف ما في هذه المأساة من مشاهد رهيبة صارخة تمثلت في الاستهتار لكرامة الشعب وتشريد أبنائه وسوقهم إلى ميادين القتال (إذا كانت الغربة تعني الشقاء والضياع والألم فإن الحنين بكل طاقته يعني حياة السرور ،والبهجة لأنه يحس لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة ليلة أو نهار ،وإذا كانت الغربة تعني البعد القوى، أما الحنين يعني القرب والعودة تفصل بينهما لحظة زمنية معينة يسبقها الشعور الطاغي بالحنين إلى الوطن، والحنين عاطفة

---

[1] المرجع السابق .ص21

[2] ا المرجع نفسه ص 22

سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل ،وهي إحساس وشوق ،ولولاها لعقد الإنسان عن آماله ونكص على نفسه ،ولولاها لما وجدنا صابرا ومعتزلا متعففا ؛فالحنين إذن ناجح لكل الغرباء فأينما وجدت غريبا قابلك حنينه وبقدر مفهوم الغربة يكون الحنين.

الكلمة ومشتقاتها وسماتها ذات إيحاءات عاطفية تعبر عن شفافية ورهافة الإحساس وتحمل في ثناياها الاشتقاق وتدور حول البكاء والطرب والرقة والحزن[1].والفرح وهي مشتقة من الرحمة ومنها قوله تعالى: ﴿وَحَنَاناً مِن لَّدُنَّا﴾.[2]

ولقد جاء الحنين في القصيدة الجزائرية يحمل هذه المفاهيم العديدة؛ ومنها الحنين إلى الوطن المادي الذي نفي منه أهله والحنين إلى الوطن الروحي الذي يشمل الحضارة الإسلامية وما تحمله من عز ورفعة وتاريخ مجيد ويقف الظلم ،والاستبداد وراء هذه المعني كلها فالإنسان الجزائري قد أحس زمن الاحتلال بالعبودية زمانا ومكانا وموقفا.[3]

ومن بواعث الغربة والحنين في الشعر الجزائري هي الاستعمار وما قام بفرضه من هيمنة سياسية واجتماعية واقتصادية وهو المتهم الأول لأحداث هذه الظاهرة وما يعقبها من شك وبأس وحنين.

وشعر الغربة والحنين في السجون الفرنسية التي كانت في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي من أهم الاستعمار التي عبرت عن تكابد الشعراء للذل والغربة داخل الوطن ،وذلك بسبب تحكم الاستعمار الفرنسي في رقاب الشعب الجزائري عندما آل إليها أمره فتمكن وتصرف في حريته كما

---

[1] المرجع السابق ص18.

[2] سورة مريم الآية(13)

[3] الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث.عمر بوقرورة. ص20

يشاء، فأصبح هذا الشعب غريبا داخل وطنه. ثم اتخذت هذه الغربة صفة الخصوصية كونها أصبحت إحساسا عاما للإنسان الجزائري الذي لا يملك لنفسه أمرا ولو كان خارج السجن ،والقراءة المتأنية للشعر الذي قيل ما بين جدران السجن تؤكده حقائق هامة كثيرة.

الكثير من القصائد هي صورة للغربة والذل والهوان في آن المطبوع لم يخرج في الكثير من الأحيان عن دواوين الشعراء المعروفين **مفدي زكرياء، أحمد سحنون، محمد العيد آل خليفة** .

إن هذه الأشعار المدونة التي قيلت بين جدران السجن لا توازي عظمة الثورة الجزائرية وبشاعة التعذيب الفرنسي شكلا ومضمونا وبعض هذه الأشعار تفتقد الصراحة النفسية المعهودة في ظل هذه المواقف إذ لا يكاد يفصح من خلجاته وهو داخل السجن لأنه تنازل عن الذات في سبيل الجموع المقهورة وتأتيهم هذه المقاومة والتماسك من قبيل المراكز القيادية – سياسة أو روحية – التي أهلتهم بطوليا لمثل هذا الشموخ والتعالي عن البكاء والشوق والحنين. ولا تكاد – بعد التنازل عن الذات – أن نستخرج صورة واضحة الأبعاد تحتوي مواقف الشعراء من السجن وما يحتويه من عذاب وذل وهوان ولقد وقف هؤلاء الشعراء أمام اعتبار دقيق لثورتهم فأثبتوا بأنهم فعلا أهل لهذه الثورة فهم استطاعوا تحويل الغربة والوحشة إلى عالم القوة والحياة.[1]

أما على صعيد الفن فإن الثورة التحريرية قد شغلت الشعراء عن الاستياء الفني وهكذا يزعمون (*) فكان الموروث الذي صار حمل محل تقديس لا يمكن الخروج عنه وهذه سمة الشعراء الجزائريين

---

[1] المرجع السابق ص84-85.

(*) لا تخلو مقدمات دواوين الشعراء الجزائريين الذي ألفوا أشعارا أثناء الثورة من الاعتذارات المزعومة بأن الثورة قد شغلتهم عن العناية بالجانب الفني."مقدمة اللهب المقدس "و مقدمة حصاد السجن"ومقدمة"أطوار"

التقليدين الذين وقفوا من القصيدة الجديدة موقف العناد والرفض والمعارضة التامة. ولذلك لا نتفاجأ ونحن نقرأ للشعراء المسجونين أن شعرهم لم يعرف التعدد الذي ساد القصيدة العربية في المشرق خلال هذه الفترة فانشغالهم بالثورة عما كانوا يرونه من مظاهر الحياة. التي أحدثتها الثورات العربية في الشعر العربي فكرا ورؤية.[1]

وهذه العوامل لا تمنعنا من أن نرصد ظاهرة الغربة والحنين في بعض السجينات التي تبدوا في اتجاهين أساسيين:

1- الوفاق والعذاب

2- الحنين والذكريات

2) شعر السجون في الجزائر:

ذاقت الجزائر مرارة الظلم ،وسياط الإرهاب من المستعمر الذي كان في مقدمة تطلعاته للقضاء على الشخصية العربية ،والإسلامية ،والوطنية الجزائرية فوقف الجزائريون ضد تنفيذ هذا المخطط عن طريق تقديمها لقربان أسطوري من الدماء ،والأرواح كما سبق مئات الآلاف إلى السجون ،وإذا ترصدنا تطور الأدب الجزائري في تلك الفترة نجد أنه كان صورة للأوضاع العامة في الجزائر فكانت مواضيع الظلم ،والاضطهاد بارزة في شعر الجزائريين ،وكانت مضامين الحنين ،والاغتراب والحرية. فقد تحكم

[1] المرجع السابق ص86.

الاستعمار الفرنسي في رقاب الشعب عندما آل إليه أمره وتصرف في حريته كما شاء، فحوله غريب في وطنه داخل مساحة شاسعة من السجون والمعتقلات.

ولعل الشاعر **مفدي زكرياء** كان من أكبر الشعراء عطاء شعريا حتى سمي بشاعر الثورة الجزائرية ،وقد قضى وقتا طويلا في السجون الفرنسية حيث يعرض في ديوانه "**اللهب القدس**" ألوان العذاب والذل التي شهدها كما عرض في المقابل عزيمته ونضاله الدائم فكان ثائرا قبل أن يكون شاعرا.[1]

يقول **مفدي زكرياء** نذل جبان ذلك الذي يتنمر في أوقات الرخاء ويستتر في أيام الرخاء وهو يختفي في وقت أشد ما تكون فيه الأمة احتياجا إلى من يضع لبنة في بناء مستقبل أبنائها.[2]

وفي ذلك إدلاء مباشر بموقفه الثوري الصريح (مثال) فهو يقول في قصيدته زنزانة العذاب رقم 73.

سِيَانٌ عِنْدِيَ مَفْتُوحٌ وَمُنْغَلِقٌ يَا سَجْنُ بَابُكَ أَمْ شُدَتْ بِهِ الحَلْقُ

أَمْ السِّيَاطُ بِهَا الجَلَادُ يُلهِبُنِي أَمْ خَازِنُ النَّارُ يَكْوِينِي فَأَصْطَفِقُ

وَالحَوْضُ حَوْضٌ وَإِنْ شَتَّى مَنَابِعُهُ أُلْقَى إِلَى القَعْرِ أَمْ أُسقَى فَانْشَرِقُ

سِرِّيٌ عَظِيمٌ فَلَا التَعْذِيبُ يَسْمَحُ لِي نَطْقًا رُبَّ ضِعَافٍ دُونَ ذَا نَطَقُوا

يَا سِجْنُ مَا أَنْتَ لَا أَخْشَاكَ تَعْرِفُنِي مَنْ يُحْذِقِ البَحْرَ لَا يُحْذَقْ بِهِ الغَرَقُ

إِنِّي بَلَوْتُكَ فِي ضَيقٍ وَفِي سِعَةٍ وَذُقْتُ كَأْسَكَ لَا حِقْدَ وَلاَ حَنَقُ

أَنَامُ مِلْءَ عُيُونِي غِبْطَةً وَرِضَى عَلَى صَيَاصِيكَ لَا هَمٌ وَلَا قَلَقٌ

---

[1] المرجع السابق ص88

[2] المرجع نفسه ص109

طَوْعَ الكَرَى وَأَنَاشِيدِي تُهَدْهِدُنِي وَظُلَمَةُ اللَّيلِ تُغْرِينِي فَأَنْطَلِقُ. [1]

إنّ الأبيات ترينا صورة حزينة لمكان خاص يموج بألوان العذاب من (سياط وكي، وأحواض مائية وضيق نفسي، وغياب النوم وظلمة الليل) إلا أنه يبدو متحديًا لا يأبه بهذه الآلام ،وهذا الألم والعذاب هما السبيلان للوصول إلى الهدف الأسمى وهو الحرية والاستقلال.

ثم نذكر من شعراء الجزائر المسجونين (**عبد الرحمان بن العقون**) الذي أُلقي عليه القبض وحاكمته السلطات الفرنسية فجرب ألوانا من العذاب بين جدران السجن ونذكر من إحدى قصائده قصيدة نظمها في سجن (بربروس):

أَلَا هَلْ مِنَ الوَادِي الحَزِينِ لَنَا قُرْبُ وَهَلْ فِي دِيَاجِي الحَنِينِ عَنْ قَرْيَتِي قُرْبُ.

مَرَابِعَ لَهْوِي فِي نَحْوِ المَعَالِي مَطَامِحِي وَفِي السَّابِقِ الهَوَى حَقَقَ القَلْبُ. [2]

ومن بين الشعراء أيضا نذكر الشاعر (**محمد العيد**) الذي رفض الاستعمار وعرف بمناوئته له ولسياساته التّعسفية مثل السلب والقمع والاستبداد فسارعت السلطات الفرنسية لإخماد صوته ففرضت عليه الإقامة الجبرية يقول الشاعر في ذلك:

سَيَحْمَدُكَ شَعْبُكَ العُقْبَى قَرِيبًا وَيُحرِزُ نَصْرَهُ بَيَدِ القَدِيرِ

وَيَشْهَدُ بَعْثَ دَوْلَتَهُ فَيَرْضَى وَيَحْضَى بِالهِلَالِ اَلْمُنِيرِ.

---

[1] ديوان اللهب المقدس ص20.

[2] ديوان .بن العقون .المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر. (د.ط)1980 . ص07

وَيحْكُمُ حُكْمَهُ الشُورَى حُرًا وَخَيْرَ الحُكْمِ حُكْمَ المُسْتَشِيرِ.[1]

والشاعر هنا يتطلع للحرية والإنعتاق بعدما ضاق من حياة الغربة داخل وطنه وبين أهله. محمد العيد يطمح في إقامته إلى تقديم صورة حية للحنين إلى الحرية والاستقلال.[2]

إن الشاعر المجدد (**أبو القاسم سعد الله**) كان من أكبر الشعراء حظا في استيعاب هذا الواقع المرير وأعمهم حِسا، نظرا للثقافة الواسعة والعالية التي جعلته يقوم بتصوير واقع (الدم والموت...) في سجن بربروس هذا المكان الذي تحول إلى أسطورة ذُعر وطوق يبدو في دموع اليتامى وأنين الأيامى ونحيب الأمهات، توقف سعد الله عند بربروس فهاله الموقف الرهيب وأصابه الفزع فانطلق متسائلا

أَجِبء بَرْبَرُوسُ!

أَشَعْبٌ تِعَذَ بَهُ أَمْ ذِيَابُ؟

أَقَلْبًا تُحَطِمُهُ أَمْ حَجَرُ

وَمَاذَا أَنْتَ الجَحِيمُ الذِي لاَ يُطَاقُ[3]

وسعد الله يحاول من خلال طرقه أن ينقل تراجيديا النماذج التي تعاني تجربة الغربة داخل وطنها.

---

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة .ص425.

[2] ينظر الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث عمر بو قرورة ص117.

3 المرجع نفسه ص117

أما الشاعر **أحمد سحنون** فإنه يتميز عن غيره من الشعراء الجزائريين المسجونين فنسبة النماذج التي عبر فيها عن غربته ،وحنينه داخل السجن تفوق نسبة الآخرين، ومن هنا جاءت تسميته لهذه القصائد (**حصاد السجن**) وهو حصاد مر علقم إذ تبدو فيه غربته وحنينه إلى أبنائه ووطنه ويمتزج كل ذلك بهموم النفس ، وغربتها وسط عالم مرعب.

إن السجن عند **أحمد سحنون** صراع بين ماض زاخر مليء بأسباب الحياة ،وحاضر مؤلم يصارع فيه الويل والأسى ،ويتضخم الشعور بالغربة في شعره، ويذهب به مذهب التهويل، يرى الشاعر في نفسه في مركز القوة والعزة فينهال باللّوم على زمانه لما ألحق به من الإساءة ،وما يسبب له من السقوط. رغم هذا الإدعاء فإن "**سحنون**" يبدو في سجنه متفردا متميزا عن الشعراء الآخرين بإحساسه الصادق الذي يكشف لنا عن تجربة السقوط المروّعة بين ماضيه العزيز وحاضره اليائس الذليل[1]

وإذا كان **سحنون** سيء الظن بالنّاس كثير التشكي. فالسجن غير من سلوكه كما تغيرت فلسفته ونظرته للحياة. فالشّاعر اتخذ موقفا خاصا من بني البشر أثناء الثورة. وعندما تصعب عليه الحياة في السّجن فإن الشاعر يتحول إلى الأصدقاء فيلقي إليهم بهمومه ومشاكله

أَصْدِحِي يَا بَلاَبِلُ الأَدْوَاحِ لِعِنَاقِ القُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ !

أَنْشِدِي لِطُلُوعِ نَجْمٍ مِنْ الصَّحْبِ يُشَيِّدُ السُرُورَ وَالارْتَيَاحِ

[1] المرجع السابق ص98.

يُنْجَلَى الهَمُ بِاجْتِمَاعِي بِإِخْوَانِي كَمَا يُنْجَلَى الدُجَي بِالصَبَاحِ !

لَيْسَ كَالأَصْدِقَاءِ فِي الخَطْبِ وَالأَيَامِ بِالأَصْدِقَاءِ جِدُ شِحَاحِ

ظَفَرْتُ رَاحَتِي بِإِخِوَانُ صِدْقٌ وَوَفَاءٌ كَانُوا أَدَاةَ نَجَاحِي !

بَعْدَ مَا غَابَ (خَالِدُ) إِسْمَاعِيلُ يَاسِوا كَآبَتِي وَجِرَاحِي

إِذَا كَانَتِ الحَيَاةُ كِفَاحًا فَالصَدِيقُ الكَرِيمُ خَيْرُ سِلَاحِي.[1]

ولا شك أن موقف **أحمد سحنون** من غربة السجن وتخصيصه لها صادق بعيد عن الاعتقال والتصفح فليس عيبا أن يرجع الشاعر في مثل هذه المواقف إلى الصدق النفسي فيكشف عن همومه وأحزانه بعيدا عن كل ادعاء أو زيف "فلم يكتم الرجال الأشداء الذين عرفوا بسمو المطلب والمنزلة وبمعاناة الأخطر لم يكتموا عندما هالهم ظلام الحبس الوهن الذي تملك نفوسهم في عزلتها بين الذل والخوف"[2]

ولقد استطاع **أحمد سحنون** التعبير عن غربته داخل السجن بكل صدق وهذا ما تجلى في قصيدته **(يا لها غربة)** حيث تبدو هذه النفس غريبة في وطنها ضعيفة بين جدران هذا السجن.

يَا لَهَا مِنْ غُرْبَةٍ عَنْ الأَوْطَانِ نَبَهْتُ مَاغَفَا مِنَ الأَشْجَانِ

غُرْبَةٌ ضُوعِفَتْ بِنَفْيٍ وَسِجْنٍ وَتَنَاهَتْ بِقَسْوَةِ السِجَانِ

شُلَّ فِيهَا فِكْرِي وَأَجْذَبُ إِلْهَامِي وَأَوْدَتْ بِحِكْمَتِي وَبَيَانِي

---

[1] ديوان احمد سحنون. أحمد سحنون. المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر(د.ط) 1977ص77

[2] الأسر والسجن في شعر العرب. د. أحمد مختار البرزة ط1 مؤسسة علوم القرآن دمشق (د.ط)1985 ص173.

وَقَرِيضِي قَدْ عَقَّنِي وَتَلَاشَى بَيْنَ جُدْرَانِهَا صَدَى أَلْحَانِي !

يَالَسَخْفَ الإِنْسَانِ حِينَ نَرَاهُ يَتَحَدَى الأَفْكَارَ بِالجُدْرَانِ ! [1]

3) أهم شعراء السجن الجزائر :

أ)مفدي زكرياء:هو مفدي زكرياء الشيخ بن سليمان ولد سنة 1908في واحة بني مزاب بقرية(بني يزقن) جنوب الجزائر وكان جده الشيخ صالح بن يحي،أما اسرته فتنحدر من بني رستم الذين اسسوا مدينة تيهرت في القرن الثاني من الهجرة،التحق مفدي زكرياء بالكتّاب ليحفظ القرآن الكريم، ويتعلم مايتيسّر له من علوم الشريعة له من علوم الشريعة الإسلامية وبعدها إلتحق بمدرسة السلام القرآنية والمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة.واكب الحركة الوطنية بشعره وبنضاله على مستوى المغرب العربي فانخرط في صفوف الشبيبة الجزائرية الدستورية، في فترة دراسته بتونس فاعتقل لمدةشهر ونصف كما شارك مشاركة فعّالة في مؤتمرات طلبة شمال افريقيا،وعلى مستوى الحركة الوطنية الجزائرية مناضلا في حزب شمال إفريقيا فقائدا من أبرز قادة حزب الشعب الجزائري فكان أن أودع السجن لمدة سنتين 1937-1939 وبعد خروجه انخرط في اولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة فأودع السجن مرة أخرى بعد محاكمته فبقي فيه لمدة ثلاث سنوات من19-04-1956إلى01-02-1959 وبعد خروجه من السجن فر الى المغرب ومنه انتقل إلى تونس للعلاج على يد **فرانز فانون** ممّا لحقه في السجن من آثار التعذيب ،توفي يوم الأربعاء02 رمضان 1397هـ،الموافق ليوم 17اوت

[1] ديوان أحمد سحنون ص105.

1977 بتونس ونقل جثمانه غلى الجزائر،ليدفن بمسقط رأسه بني يزقن له عدة دواوين منها تحت ظلال الزيتون ،وحي الأطلس،إلياذة الجزائر،ومن هذه الدواوين ديوان اللهب المقدس الذي نظمت معظم قصائده داخل السجن.[1]

ب)محمد العيد آل خليفة:ولد محمد العيد يوم 27 جمادى الأولى 1332هـ الموافق ل:28-08-1904 في مدينة عين البيضاء ،تلقى تعليمه الأول-الابتدائي- قي التعليم الحر ثم تابعه في بسكرة لينتقل بعد ذلك غلى جامع الزيتونة وعمره سبع عشرة سنة-1921م- وبعد المدة التي قضاها هناك عاد إلى الجزائر من باب التعليم ،فعمل معلما ومديرا لمدرسة الشبيبة الإسلامية.عمل عضوا فاعلا في جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها -1931م-حيث اسهم فيها بشعره.حتى صار شعره في الصحافة العربية إضافة إلى عمله في جمعية العلماء المسلمين مصدرا من مصادر المتاعب المتجددة له، فأضحى عرضة للتحقيق والاستنطاق والملاحقة من طرف السلطات الفرنسية إلى أن انتهى به الأمر إلى السجن ثم إلى الإقامة الجبرية.[2]

توفي رحمه الله سنة 1979 م.له ديوان (ديوان محمد العيد آل حليفة) يضم أكثر خمس مائة قصيدة.

ت)عبد الرحمان العقون: ولد بواد الزناتي بشرق الجزائر سنة -1908م تعلّم القرآن الكريم ،وتدرب على كتابة الشعر والمقالات في مسقط رأسه.انضم إلى الحركة الوطنية وعرف السجون والمعتقلات اثر احداث-08-ماي-1945م ،وفي بداية الثورة المسلحة أُفرج عنه ليلتحق بالمشرق العربي عاملا في

---

[1] أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى.مصطفى بن الحاج بكيرة حمودة.مؤسسة مفدي زكرياء(د.ط) 2003.ص1

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة(المقدمة)

اطار جبهة التحرير الوطنية، فعمل بدمشق ثم سفيرا بالأردن حتى سنة- 1964م-ثم رجع إلى الجزائر ليعمل في سلك التعليم الذي بقي فيه إلى سنة -1973م-ومن آثاره ديوان شعر المكافح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر وديوان من وراء القضبان،وديوان آخر باسمه يتضمن بعض القصائد التي ،نُظمت داخل السجون الفرنسية[1]

ث)احمد سحنون

ولد الشيخ **أحمد سحنون** – رحمه الله – عام 1907 ببلدة ليشانة قرب مدينة بسكرة ، وتولى والده ،الذي كان معلما للقرآن الكريم ، تعليمه ، فحفظ كتاب الله وعمره أثنى عشرة سنة ، كما تعلم مبادئ اللغة العربية ، والشريعة الإسلامية ، على يد مجموعة من المشايخ والعلماء : وأبرزهم : **الشيخ أحمد خير الدين والشيخ محمد الدراجي و والشيخ عبد الله بن مبروك.**

ومنذ نعومة أظافره ، كان الشيخ مولعا بكتب الأدب ، فطالع ودرس منها الكثير قديمها وحديثها ، وفي سنة 1936 التقى لأول مرة مع رائد الإصلاح والنهضة في الجزائر ،**عبد الحميد بن باديس** ، وبعد اندلا ع الثورة لم يتردد في مساندتها ، مما أدى إلى سجنه عام 1956 ، وحاول المستعمر استغلال مكانة الشيخ عند الشعب الجزائري. وتأثيره فيه ، فطلب منه أن يحذر الناس من المجاهدين

[1] ديوان العقون(المقدمة)

ويبعدهم عن احتضان الثورة ودعمها ،ولكنه لم ينصاع لأوامر المستعمر،فحكم عليه بالإعدام ، ثم أطلق سراحه ، وبعد ثلاث سنوات لأسباب صحية ، قام المجاهدون بتهريبه إلى منطقة باتنة بالشرق الجزائري ، ثم إلى مدينة سطيف ليواصل عمله وجهاده بين أفراد شعبه

وبعد نيل الجزائر استقلالها ، عين الشيخ (**احمد سحنون**) ، إماما خطيبا بالجامع الكبير بالعاصمة وعضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى ، فواصل عمله الدعوي التربوي بكل إخلاص واستقلالية فكان، ما يحرص عليه ، حرية الكلمة ، وخاصة إذا كانت تخرج من المنبر ، فلم يكن يهادن في دينه ، ولا يقبل المساومة في مبادئه ، من غير جبن ولا تهور أو انفعال حتى استطاع بمنهجه أن يصبح منبرا للتعقل والحكمة ، ومرجعا لوحدة الشعب الجزائري ،توفي ليلة الاثنين 08 سبتمبر، كانون الأول 2003 الموافق ل: 14 شوال 1424 هـ فجعت الجزائر نبأ فقدان احد رجالها الأبرار وعظيم من عظمائها، وكان لهذا النبأ وقع أليم.على نفوس كل الجزائريين، كان الإنتاج الفكري والأدبي والدعوي **لأحمد سحنون** عزيرا ، تنوع مابين خطب ودروس ، وإصدارات شعرية وكتب دينية وتوجهية. صدر عن **أحمد سحنون** ديوان عام 1977 عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع عن سلسلة شعراء الجزائر بعنوان (حصاد السجن) وهو خلاصة لأشعار التي كتبها أثناء فترة سجنية ،تناول فيها عدة مواضيع كما صدر للشيخ عن الوطنية نفسها سنة 1981 كتاب **دراسات وتوجيهات إسلامية**.[1]

[1] موقع ملتقى أهل الحديث ترجمة علماء الجزائر . مقال ل:أبو البراء عن الشيخ أحمد سحنون

4)مكانتهم:إذا كان السجون هي ا لمدارس التي يتخرج منها الرجال الذين يقلِبون صفحات التاريخ وفي ظلمتها يظهر بصيص الحضارة والتمدن من غرفة تزعزع الثورات. فان شعراء السجن لا نرتاب في حبهم لوطنهم ودليل ذلك عندما نجدهم يتغنون ببطولات شعبهم ،ويسجلون انتصاراته التي كان يحققها على الأعداء.فكان لهم فضل الرّيادة، في الحلم بالثورة ، فارتفعوا إلى مستوى النبوءة.ثم واكبوا مسيرتها المظفرة لينقلوا صورا نادرة من ملاحمها البطولية ، فكانوا ممن كتبوا من قلب الثورة المجيدة أو من صميمها.لقد نشأ هؤلاء الشعراء-شعراء السجن في فترة الاحتلال الفرنسي-متبنيين قضية الجزائر بكل مداها وعمقها فعاشوا تجربة الثورة متحمسين للآلام ،وآمال الجماهير الشعبية الكادحة.فهم حاولوا أن يتتبعوا خطى الثورة ويسجلوا حقائقها،ليكونوا بذلك شاهدين عليها في السجون والمعتقلات فهم يكشفون الحقد الدّفين ،والمكر المميت من طرف الاستعمار الفرنسي كما كانوا بدورهم يسعوْن لنير الطريق إلى أبناء مجتمعهم حتى لا تفوتهم فرصة الهجوم على العدو،والرّد عليه بالإتحاد والتضامن في كل ما يعود على أبناء هذا الوطن بالخـير ،كما كانوا حريصين على وحدة وطنهم بكل ما أُتوا من قوة فكرية وطاقة إبداعية وبكل هذا فقد كرّس هؤلاء الشعراء أنفسهم لخدمة وطنهم،وعندما وضعت الحرب أوزارها وطلعت شمس الحرية ، ونالت الجزائر استقلالها اطمأنت قلوبهم واستقرت نفوسهم وهدأ بالهم.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تمهيد

شعر السجون في الجزائر دراسة موضوعية

وفنية

مواضيع شعر السجون في الجزائر

خصائص شعر السجون في الجزائر

المعجم الشعري لشعر السجون في الجزائر

مصادر الصورة الشعرية في شعر السجون

الجزائري

1)مواضيع شعر السجون في الجزائر:

إن مواضيع أدب السجون إنما تحوم من حيث موضوعاتها حول قضايا ،وطنية هامة من شأنها أنها تهز كيان المستعمر هزًا، فأحداث الإعدام ،والاعتقالات ،والتّعذيب ،وأخبار المعارك ، هي صلب النتاج الأدبي في السجون في الأغلب. بالإضافة إلى مواضيع أخرى ،والتي تمس الجانب الشخصي أو ماتسمى بالبواعث الشخصيةُ .

أ)الحنين إلى الأهل والأحبة.

لا عجب أن نجد عاطفة الشوق والحنين في شعر السجون، فهذه العواطف هي من أقوى العواطف التي ميزت الشاعر في تلك الفترة ،فمثلا أحمد سحنون نجده أكثر تأثرا لفراق أبنائه، فكان تعلقه بأبنائه جعلهم يعيشون في ذاكرته. فأصبح يراهم في كل شيء **أحمد سحنون** نظم قصيدة **عصفورة** عندما تذكر عصفورته التي بقيت في البيت فرأى ابنته في صورة العصفورة التي حطت بالقرب من زنزانته.

عُصْفُورَةٌ مَرَّت عَلَى غُرْفَتِي تَشْدُوا بِلَحْنٍ سَاحِرِ النَبْرة.

مَرَّت تُغَنِي فَاسْتَشَارَت جَوَى قَلْبِي وَأَشْوَاقِي لِعُصْفُورَتِي.[1]

فهذه الأبيات تبين مدى شوق الشاعر لأبنته الصغيرة،والشاعر يعيش ألمين مضاعفين ألم فراقه لأبنته وألم فراق ابنته له من جهة ثانية.

---

[1] ديوان أحمد سحنون ص69.

ولقد خفق **قلب أحمد سحنون** بالعديد من القصائد التي تنبض بالعاطفة الفطرية (العاطفة الأبوية) حيث يثور الحنين إلى فلذات الأكباد.

مَا بَيْنَ أَوْلَادِي يُقِيم فُؤَادِي لَا خَيْرَ فِي عَيْش بِلَا أَوْلَاد

أبْنِي مَا ذَكَرَ يَمّرَ بِخَاطِرِي لِسَوَاكُم فِي يَقَظَتِي وَرُقَادِي

قَدْ عِشت ذِكْرَكُم نَجَى مَشَاعِرِي وَغِذَاءُها فِي غُرْبَتِي وَبُعَادِي

فَارَقْتُكُم فَإِذَا الْحَيَاة جَمِيُعها فِي نَاظِرِي قَدْ جَلَلَت بِسَوَادي[1]

ولقد تعددت القصائد التي أفرد الشاعر مدى إحساسه بألم الفراق لأهله وذويه، وذلك إنما يبين مدى إشفاق الشاعر على ولده وخوفه عليه من أي مكروه. وربما أن أكثر الأسباب في نظم هذه القصائد هو إحساس الشاعر بفقدان ابنته الصغيرة لحنان الأبوة.

لقد عاش **أحمد سحنون** مواقف كثيرة ،وحالات عديدة في غربته وكان صادقا في التعبير عنها ،فمثلا حنين الشاعر إلى ولده في قصيدة **إلى ولدي رجاء** عبّر وبشكل كبير عن مدى تعلق **أحمد سحنون** بأهله وأحبابه.فالشاعر أنشد يقول :

يَا رَجَاء النَّفْس يَا أَقْصَى مَنَاهَا يَا حَبِيبَ الرُّوح يَا كَلَ هَوَاهَا

يَا نَشِيدَ القَلْبَ فِي أَفْرَاحِه يَا حَيَاةَ الحُبِ يَا طِيبَ جَنَاها

يَا عَزَائِي فِي شَقَائِي يَا هُدَى مُهْجَتِي ان أَظْلَمَ الخَطب دُجَاها

---

[1] المصدر السابق ص75.

يا رَفِيف الرَوضَ يَا هَمْسَ الرِّضا يا دُنَى الأحْلَامِ يَا سِحْر رُؤَهَا

يَا جَمَال الزَّهر في رأد الضحى يا نَدَى الأسْجَارِ يا عطرَ شذاها [1]

و تستأثر عاطفة الأبوة لدى الشاعر وتزداد تأججا عندما، يتراءى له طيف أبنائه الذين ينتظرون عودته، وعند مغيب كل شمس يخيب أملهم وتنطوي أحلامهم فتكوى أفئدتهم. فالشاعر يفكر بفكرهم ويرى بخيالهم ويعيش بوجدانهم

مَتَى أرَى ظَبْيًا أغن تَرَكْتُه قَدْ كَادَ يَلْفَظ مِنْ أَسَاه حَشَاه

ويَظَل يَرْنُو لِلْطَرِيق فَلَا يَرَى فِي العَائِدِينَ مَعَ المَسَاءِ أَبَاه

ويَبَيتُ يَحْلم فِي الْمَنامِ بِرُؤْيَتِي فَإذَا جَفَاه النَّوم زَادَ أَسَاه[2]

إن انتقال **مفدي زكرياء** من ميدان الحياة الصاخب المملوء بجو النشاط السياسي ،والفكري إلى جدران السجن أوجد نغما حزينا ،فالشموخ المتماسك المحكوم لقواعد موروثة قد انهار في كيانه ،وهو في ظلمات السجن فالشاعر القوي الثائر يقف لحظة في بربروس ليسمع إلى دقات قلبه فيعرف لحناً عاطفيا يصور فيه شوقه ،وتلهفه إلى زوجته التي يناجيها مناجاة عذبة رقيقة من قعر الزنزانة رقم 73 في أبيات جميلة ولعل جمالها ورعتها في عمق النغم الحزين ،والألم المثير.

وبهذه الأبيات حاول **مفدي زكرياء** أن يزحزح عن كاهله ثقل الأيام فلم يجد غير **سلوى** المحبوبة يشكوها ألم الفراق والبعد عنها:

---

[1] المصدر السابق ص73

[2] المصدر نفسه. ص159

ورُبَّ نَجْوَى كَدُنيَا الحُب دَافِئَةٍ قَد نَامَ عَنْهَا رَقِيبي لَيسَ يَسْتَرق

عَادَت بِهَا الرُوحِ من سَلْوَى مُعَطَرَةً فَالْسِّجن مِن ذِكْرَى سَلْوَى كُلُّه عَبَق

سَلْوَى أُنَادِيك سَلْوَى مِثْلَهم خَطأً لَوْ أَنهُم أَنْصَفُوا كَان اسْمَك الرَمق

يَا فِتْنَةَ الرُّوح هَلَا تَذْكُرِين فَتًى مَا ضَرَه السِّجن إلا أنه وَمِق[1]

فالشاعر بهذه النجوى إنما يعبر عن غربته وحنينه الموحش إلى المحبوبة.

لقد اكتوى الشاعر عبد **الرحمان بن العقون** أيضا بنار التعب ،والفراق عن الأهل فكتب في قصيدة شعرية يحن فيها إلى مراجع الصبا ما يلي:

أَلَا هَل مِنَّ الوَّادِي الحَزِين لَنَا قُربُ وَهَل مِن دِيَاجِي البَيْن عَن قَرْيَتي قُرب

مَرَابِعَ لَهْوي فِي صِبَايَا عَشِقتها وَدِيَار أَحْبَابَ فُؤَادِي بِهِم صَب

بِهَا رَفْرَفت نَحْوَ المَعَالِي مَطَامِحِي وَفِيهَا لِسَابِق الهَوَى خَفِقَ القَلْب

قَد أَسَرَوا الأَنْفَاس مُذ كُنْت يَافِعًا سَكَنَ الْفُؤَاد حَبَهُم سَهْو مُنصَب[2]

ويبدو أن **عبد الرحمان بن العقون** قد أعجب بقصيدته هذه والتي عبر فيها عن حنينه إلى أهله.

وشدة الإعجاب جعلته يفيد كتابتها وشرحها في مؤلفه النثري (من وراء القضبان)[3].

---

[1] ديوان اللهب المقدس ص21

[2] ديوان ابن العقون ص75.

[3] الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث.د.عمر بوقرورة ص110

ب)الحنين إلى الوطن:

لم تكن آلام السجين نتيجة لفراق الأهل والأحبة فقط بل إن الوطن وفراقه كان أشد وطأة على شاعرية ونفسية الشاعر الذي أصبح يحس بمهجة الفراق.

إن الحنين إلى الوطن والتألم لفراقه هي ظاهرة عامة ظهرت عند أغلب شعراء السجن فكان حنينهم قويا بالرغم من أنهم كانوا يعيشون داخله – ولو في داخل السجن – ممثلا **أحمد سحنون** وبالرغم من معاناته من وطأة السجن إلا أنه استسلم لأحاسيسه التي قادته إلى الحنين الجياش إلى الوطن الذي هو من أنبل العواطف وأشدها ، فلقد هام الشاعر في ذكريات وطنه من نسيم عليل ،ونقي، وبلابل شادية ،ونجوم نيرة فأنشد يقول:

كُل شَيء نَسَيْتُهُ يَا بِلَادي وَتَلَاشَتْ أَطْيَافُه مِن فُؤَادِي

غَيْرَ ذِكْرَاكِ فَهِيَ تَكْمُن فِي قَلْبِي كُمُونَ اللَظَى بِقَلْبِ الرَّمَاد.[1]

ولعل قصيدة "**وطني**" من أقصد القصائد التي توحي بمدى تعلق الشاعر بوطنه، فهو لا يطيق ولا يرضى العيش مبعدا عن وطنه طوال حياته.

شَدَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ طُول أَسَايَا كُل يَوْم حَرَّه يُصْلِي حَشَايا!

إن مَا أَلْقَاهُ مِن شَوْق إلَى وَطَنِي قَد كَان يَذْرُوه شَظَايَا !

---

[1] ديوان أحمد سحنون ص 101.

أنَا لَا أَرْضَى حَيَاتِي مُبْعَدًا عَنْ بِلَادِي أَنَا لَا أَسلُو حِمَايَا [1]

ولو شئنا أن نلتمس حنين شاعر السجن إلى وطنه لوجدناه في قصيدته (**فلا عز حتى تستقل الجزائر**) ففيها تظل العلاقة بالوطن واضحة متسقة منذ البداية حتى نهاية القصيدة حيث يحاول مفدي زكرياء من خلال هذا الحنين أن يجسد حالته المأساوية وهو بعيد عن الوطن

جزائرُ مَهْمَا بَاعَدَ الخَطْبُ بَيْنَنَا تُبَاكِرني النَحْوَى وَتَهْفُو بِي الذِّكْرَى

حَنِينِي إِلَى القَصْباء هَاجَ مَدَامِعِي وَشَوقِي إلى بِلْكُور أَفْقَدَنِي الصَبْرَا

وَفِي حَي بَاب الوَادِ مَاضِي صبابتي تَرَكْتُ بِبَابِ الْوَادِ مِنْ كَبَدِي شَاطْرَا [2]

والقصيدة طويلة ذكرنا منها هذه الأبيات وتعد من أنجح القصائد التي عبر فيها الشاعر عن حنينه إذا بدأ أكثر جودة ،وأدق استعمالا فالصور القديمة تكاد تصنع في نسيجه الذي يعتمد على الحركة النفسية ،وهي تتصارع مع عالم الحواجز (السجن) لتتعداها إلى الذكريات ،وليست هذه الأخيرة سوى رمزا للأمان ،والمناعة ،والتخلص من القيد ،وقد استطاع أن يشحن قصيدته بالإيحاء الملائم للمناخ النفسي الذي يشبع فيه تلك الأبيات مثل (النجوى، الذكرى، مدامعي).

أما إذا نظرنا إلى قصيدة **وقال الله** ،التي نظمها الشاعر في سجن **البراوقية** مخلدا الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية فإننا تستسيغ، وبكل سهولة ما كان يتجلى في نفسية شاعر الثورة. فغربة الوطن أججت

---

[1] المصدر السابق ص125

[2] ديوان اللهب المقدس ص314.

مشاعر الشوق، والحنين ،وأيقظت مواطن الذكريات ،وجعلته يطوف بأرجاء الجنوب الفسيحة متتبعا فيها مناطق الجمال ،فعبر بذلك عن مدى حنينه إلى الوطن.

فِي وَاحَاتِنَا ظِلٌ ظَلِيلٌ تَفُورُ به نَوَاعِرُهَا حُبَابا

وَفَوْقَ سَمَائِهَا قَمَرٌ مُنيرٌ نُطَارِحُه الأَحَادِيثَ العِذابَا

وتَحْتَ خِيَامها انْحَبَسَت عيونٌ لهَا هَارُوت قَد سَجَدَا احْتِسَابَا

وَتَحْتَ خِيَامهَا انْبَجَسَت عُيُونٌ أَسَالَت مِنْ فَمِ الدُنْيَا لُعابَا[1]

وفي الأخير يمكن القول أن هؤلاء الشعراء عاشوا غربة الفراق ،وإن لم تكن بمعناها الحقيقي ، فهيامهم وحنينهم إلى وطنهم قادهم إلى العيش على ذكرياته ومناطق الجمال فيه.

ت)وصف جرائم المستعمر:

لقد ذهب مفدي زكرياء في قصيدته **وتعطلت لغة الكلام** إلى فضح المستعمر وجرائمه ،ولكن بشكل دقيق ومفصل فهو في أبياته القادمة يتحدث عن جرائم جنود المستعمر الفرنسي، المخزية ومن بينها هتك الأعراض، بقر بطون الأمهات الحوامل ،ذبح الرُضع الصغار وقتل الأطفال الفِطام بالرصاص

لَا القَاصِرَاتُ الغَافِلَاتُ كَوَاعِباً دِيسَتْ قَدَاسَتُهَا وَفُضَّ ختام

لَا الحَامِلاتُ بُطُونهَا مَبْقُورَةٌ ذُبِحَتْ أَجِنَّتُها وفُكَّ حِزَام

[1] المصدر السابق ص34

لَا، والمَرَاضِعُ عُوِّضَتْ أَثْدَاؤُهَا بِفَمِ المُسَدَّسِ وَالرَّصَاصُ فِطَام [1]

ثم يختم الشاعر هذه الأبيات بصورة معبرة عن مدى تعطش جنود الاحتلال للقتل والتنكيل والتعذيب وغيرها من الجرائم التي تقشعر لها الأبدان ، **فمفدي زكرياء** (وصف هؤلاء الجنود بالوحوش الجائعة).

يَا لِلْفَظَاعَةِ مِنْ وُحُوشٍ جُوَّعٍ تَسْمُو عَلَى أَخْلَاقِهَا الأَنْعَامُ[2]

ولقد تعددت هذه الجرائم في كل يوم وفي كل لحظة فراح الشاعر يصف وحشية الفرنسيين في العديد من أبياته الشعرية ومن بين هذه الجرائم هي هتك العرض الزوجة والبنات أمام مرأى الوالد

وَالأُمُّ يُهْتَكُ عِرْضُهَا، وَفُحُولُهَا (حَوْلَ الفَضِيحَةِ) شَاخِصُون قِيَام[3]

راح الكثير من شعراء السجن ينظمون أشعارا داخل السجن لا لشيء واحد هو: التنفيس عن آلامهم وتأثرهم الجارح مما يفعله الاستعمار من قمع ،وإرهاب ،وتقتيل في الخارج فلجأ هؤلاء الشعراء إلى الكتابة ، التي جاءت تعميقا للثورة ،وفلسفتها ، وتأكيدا على ضرورتها ،وشرعيتها. فراح هؤلاء الشعراء ينظمون قصائد تفضح المستعمر وتضعه في صور ولوحات سوداء قائمة لوحشيته الزائدة.

يقول أحمد سحنون:

شَعْبُ الجَزَائِرِ فِي السُجُونِ وَفِي الْحَدِيد مُكَبَّل !

---

[1] المصدر السابق ص45.

[2] المصدر نفسه ص46.

[3] المصدر نفسه ص45.

شَعْبُ الجَزَائِرِ كَالْقَطِيعِ مُشَرَّد وَمُقَتل!

شَعْبٌ يَذُوبُ شَبَابَه بِيَّد الخَطُوبِ وَيَذْبُل!

شَعْبٌ صَبَيَاهُ بِنِيرَانِ الرَّصَاصِ تَنْجَدِل!

فَعَلَت بِهِ الأَحْدَاث وَالأَزَمَاتِ مَا لَا يَفْعَل [1]

لقد تحدث **أحمد سحنون** في قصيدته **عام جديد**" والتي هي من حصاد السجن عن مدى وحشية الاستعمار وفظاعة جرائمه ضد شعب كامل ، فالألفاظ التي وظفها ألفاظ موحية لصور البطش والتنكيل ومن بين هذه الألفاظ (مكبل، مشرد، مقتل، تنجدل، يذوب)

ث)الحنين إلى الحرية والاستقلال:

كان إيمان شعراء السجن بالقضية الوطنية إيمانا قويا ، لم يتسرب إليه الشك أبدا. فحتمية النصر والنجاح كانت تلازمهم في نفوسهم. فكانوا يقومون بإطلالة ،ولو خاطفة ،وخفيفة على عالم الاستقلال الذي كان يستهويهم كثيرا.

فهم يرون أن فرنسا من غير الممكن أن تنتصر لأن قضية الجزائر أقوى فيقول **مفدي زكرياء** مخاطبا فرنسا:

لَا تَطْمَعِي النَّصْرُ مِنْ جُنْدٍ سَمَاسِرَةٍ أَيُحْرِزُ النَّصْرَ مَأْجُورٌ وَمُرْتَزِق[2]

---

[1] ديوان أحمد سحنون ص122.

[2] ديوان اللهب المقدس.ص28

اما **أحمد سحنون** في أحد قصائده يتساءل عن مصير هذا الشعب. وفي هذا التساؤل وجود دلالة قوية وهي الإيمان بوجود دولة اسمها الجزائر تنعم بالسلام والطمأنينة مستقبلا.

شَعْبُ الجَزَائِرِ هَلْ أَرَى لَكَ دَوْلة قَد لَبِسَت ثَوبَ الفَخَار قَشِيبَا

أأَرَى الجَزَائِرِ رَوْضَةً فَيَنانَةً وَأَرَى بَهَا غُصْنَ الحَيَاةِ رَطِيباَ

والزَّهرُ فِي أَدْوَاحِهَا مُبْتَسِمًا والطَيْرُ فِي أَفْنَانهن خَطِيباَ[1]

أما في قصيدة "**ذكرى رأس السنة الهجرية**" (وهي أحد قصائد حصاد السجن) فالشاعر أعطى صورة واضحة وجلية عن جزائر حرة مستقلة تشتمل على مقومات الدولة: العلم حرية الشعب، وجيش.فيقول في ذلك:

وَثَمْرَة الْجُهد الذِي تَبْذلَه أَنْ تَرَى شَعْبَك خَفّاقَ البُنُودِ

وَتَرَى أَغْلَالَه قَد حُطِّمَت وَتَرَى أَجْنَادَه أَقْوَى الجُنُود

وتَرَى آمَالَه قَد حُقِقت وَتَرَى نَجْم بَنيه فِي صُعُود

لَقَد أَوْشَك أَن تَجْني مَا بَذَرَت كَفَّاك لِلْشَعْبِ المَجِيد[2]

أما هو الآخر حن كثيرا إلى الاستقلال لكن في قصيدته هذه يطل على ما بعد الاستقلال فيطل إطلالة ليس الهدف منها إمتاع النفس بالأخيلة السعيدة ،وإنما من أجل الدفاع عن شعبه، وازالة ما يروجه الاستعمار من تشويه ،فهو في أبياته القادمة يفنِّد الادعاءات الكاذبة التي يروجها

---

[1] ديوان أحمد سحنون ص121.

[2] المصدر نفسه ص204

المستعمر،فجاء تفنيده بأن الشعب الجزائري أو الجزائريين عندما يستقلون يعدلون،ويحسنون و هذه هي شيمهم لأن لهم تاريخ ودين اسلامي يعتنقونه ولهم طباع وعادات راسخة متأصلة من صدق مطبوع ونبل ،وشرف موروث، بالإضافة إلى كرم الضيافة ،واحترام المعتقدات الدينية الأخرى.

وَقَالُوا: فِي الجَزائر سَوْفَ يَلْقَى أَجَانِبُها إذا أنتصَرَت تَبابا
هُمْ كَذِبُوا وَمَالَهُم دَلِيلُ وَكَانَ حَديثُهم أَبَدَا كِذابًا
ونَحن العَادِلون، إذَا حَكَمْنَا سَلُوا التَاريخ ،عَنَا والكِتَابَا
ونَحْنُ الصَادِقُون اذَا نَطَقْنَا أَلِفْنَا الصِّدق طبعاً لا إكْتِسَابَا
وعَنْ أَجْدَادِنَا الأَشْرَافُ، إنا وَرِثْنا النُّبل والشَرَفَ،اللبَابَا
كرامٌ لِلْضيوفِ، اذا إسْتقَامُوا بَسَطنَا فِي وُجُوهِهِمْ الرِحَّابا
ونَحْتَرِمُ الكَنيسَة فِي حِمَانَا وَنَحْتَرِمُ الصَوَامِعَ وَالقِبَابَا[1]

ج)التغني بالثورة والبطولات:

قدر للشاعر **مفدي زكرياء** أن يصف الثورة الجزائرية من موقع المناضل الممارس ،والسجين ،والمجرب الوطني والمثقف ،والمطالع أيضا (وهو يعد أكثر الشعراء شهرة في الداخل وفي الخارج وفي تاريخ الشعر الجزائري إطلاقا ولعل ذلك يعود إلى قصائده الغر التي خلد بها الثورة الجزائرية فأخلد بها يضاف إلى ذلك النشيد الوطني الذي كتبه وهو في سجن بربروس في الخامس والعشرين من أبريل 1955)[2]

---

[1] ديوان اللهب المقدس.ص39.38

[2] أدب المقاومة في الجزائر (1830-1962) رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري أ.د. عبد المالك مرتاض المركز الوطني للنشر(ط.1)2003 ص128.

ومن أروع قصائده في التغني بالثورة الجزائرية هي كلها مطولات تزيد عدد أبياتها عن خمسين بيتا ومن بينها قصيدة (**اقرأ كتابك**) والتي نظمها الشاعر في سجن البرواقية بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية فهو يتغنى بثورة نوفمبر المجيدة.

هَذا نُفَمْبَرُ قُمْ وَحَيِّ المِدْفَعَا واذْكُر جِهَادَكَ وَالسِنينَ الأَرْبَعَا

واقْرَأْ كِتَابَكَ لِلأَنَامِ مُفَصَلاً تَقْرَأْ به الدُنْيَا الحَدِيث الأَرْوَعَا

واصْدَع بِثَورتك الزَمَانَ وأهلَه واقْرَعْ بِدَوْلَتِك الوَرى وَالمَجْمَعَا

واعْقِد لِحَقِك في المَلَاجمِ نَدْوةً يَقِفُ السِلَاحُ بِهَا خَطيباً مِصْقَعَا[1]

وهناك قصيدة سجنية أخرى تغنى الشاعر فيها بالثورة المجيدة والتي قال في أحد أبياتها بأن الثورة لم تأتي ظلما وإنما جاءت على حق وهو فك القيود والمناداة بالحرية.

ثَورَة لَمَ تَكُن لِبغْي وَظُلْم فِي البِلَاد ثَارت تفكُّ القُيودا

ثَورةٌ تَمْلَئُ العَوَالِمَ رُعْبًا وَجِهَادًا يَذْرُوا الطُغَاةِ حَصِيدا[2]

---

[1] ديوان اللهب المقدس ص57.

[2] المصدر نفسه ص12

إن الحديث عن القضية الوطنية (الثورة) لم تكن تخلو في أي حديث عن الجزائر والوطن والأرض ففي القصيدة الواحدة نجد الصورتان تتداخلان وتمتزجان حيث يصعب الفصل بينهما ففي الكثير من الأحيان تغنى السجين بالثورة وأيدها وعانقها وباركها. وهذه المباركة إنما هي تعبير عن حب الوطن . وهذه القضية الجدلية القائمة بين حب الوطن وحب الثورة .فالجزائر هي منبع الثورة والثورة هي نضال من اجل الجزائر وهذه الظاهرة هي التي تفسر امتزاج مشاعر الشاعر بين حب الأرض والوطن وبين التأييد ومساندة الثورة.وفي هذا الصدد يقول **احمد سحنون**:

يَعِزُ علَيَ أَنِي لَا أَراك وَأَنِي لَا أَشُمُ شَذَا ثَرَاك

وأَنْ أُبْعِدْتُ عَنْك كَيْفَ يَسْلُو فُؤَادٍ لَا يسْلِيهِ سِواك

وأنْ أَسْكُت عَن شَدْوَى وَكَانَت تَغَارِيدِي تُرَدَدُ فِي ذِكْرَاك

وأَنْ فَارَقْتُ مَنْ أَهْوَى بِرغمي ومَا ذَنْبِي الوَحيدَ سِوَى هَوَاك [1]

ولعل البيت التالي يوضح مدى تغني الشاعر بالثورة فهو يراها ثورة عظيمة لم يتحدث في التاريخ قط.

شُنُّوا عَلَى الطُغْيان أَعْظَمَ ثَوْرَة لَمْ يَأْتِ لَهَا تَارِيخٌ بِمِثَال [2]!

كما أننا لو تمعنا في شعر السجون نجده يتغنى بالشهداء والبطولات والانتصارات رغم تفاوت القوى المتصارعة إلا أن الإيمان بالقضية الوطنية مع الصمود في أرض الميدان هو الذي مكن الأبطال البواسل

---

[1] ديوان أحمد سحنون ص103

[2] المصدر نفسه ص123

من النصر في المعارك ضد المستعمر وهذا التغني **بالأمجاد والبطولات** وتعظيم الشهداء الذين ماتوا في سبيل الوطن من شأنه أن يدفع بالشعب إلى تقديم تضحيات أكبر وأكثر:

وضَحَايَا قَدَّمَت أَرْوَاحَه لَكِ قُرْبَانًا عَزِيزًا وَهَدايَا

أنا مَنْ أَنْجَبْتِه كَيْ يُفْتَدَي كُل جُزْء مِنْك مِنْ كُل البَلَايا [1]

أما مفدي زكرياء فهو بدوره عظم الشهداء وهذا ما ظهر جليا في قصيدته الذبيح الصاعد والتي نظمت أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد دشن بالمقصلة المرحوم **أحمد زبانا** وبالتحديد 18 جويلية 1955.

فمفدي زكرياء شبه الشهيد بالنبي وهذا التغني بالشهداء ذا بعد ديني محض لأنه جاء من وجهة نظر دينه خالصة وهي أن الشهداء منزلتهم عند الله عز وجل كما أن الشهيد زبانا كان منتشيا سعيدا بأن يكون أول شهيد في الثورة الجزائرية. فأي عظمة أعظم وأي فخر أشرف.

يقول مفدي زكرياء:

قَامَ يَخْتَال كَالْمَسِيح وَئِيدَا يَتَهَادَى نشْوَانَ يَتْلُو النَشِيدَا

بَاسِمَ الثَغْر كَالْمَلاَئك، أَوْ كَالطِّفل يَسْتَقْبِل الصَّبَاح الجَدِيدَا[2]

---

[1] المصدر السابق ص15.

[2] ديوان اللهب المقدس ص 09.

ح)الحنين إلى العروبة:

هناك الكثير من قصائد مفدي زكرياء التي نادى فيها بالوحدة وبالقومية العربية فمثلا في قصيدته **وتعطلت لغة الكلام** يصور ذلك الحنين إلى العروبة ،وذلك التجاوب بين الجزائر، وبين أقطار الأمة العربية كلها[1]

يا أمَة العَرَبِ الكرام: كَرَامَةً لَكِ فِي الجَزَائِر حُرْمَة وَذِمام

فِي كُلِ أَرْضٍ لِلْعُرُوبَة عِنْدَنَا رَحِمٌ تَشَابَكَ عِنْدَهَا الأَرْحَام

إن صَاح فِي أرضِ الجَزَائِر صَاحٌ لَبَتهُ مصْر، وَأَدْرَكَتْهُ شآم

فِي المَغْرِب العَرَبي عرقٌ نَابِضٌ يُذكِيه فِي حَرْبِ الخَلَاصِ ضِرام

غزُّ العُرُوبة فِي حِمَى اسْتِقْلالنا أَيَطِيرُ مَقْصُوصَ الجَنَاح،حَمَام[2]

ولكنه في قصيدة أخرى (**اقرأ كتابك**)يتحدث عن هذه القضية بصورة أكثر تفصيلا وتحديدا حيث يشير إلى أن الأعداء حاولوا عمدا أن يفصلوا بين الجزائر والعروبة ولكن الفشل والخيبة كانت مآلهم:

وتَعَمَدُوا قَطْعَ الطَرِيق فَلَمْ تُرِدْ أَسْبَابُه بالعُرب أن تَتَقَطَعَا

نَسَبٌ بِدُنْيَا العُرْبِ زَكَّى غَرَسَه أَلَمٌ فَأَوْرَقَ دَوْحَهُ وَتَفَرَعَا

سَببٌ بِأَوْتَار القُلُوبِ عُروقه إن رنّ هَذا، رنّ ذاك ورَجَّعا.[3]

---

[1] قضايا عربية في شعر الجزائر المعاصرة. د. عبد الله الركيبي، المؤسسة الوطنية للكتاب (د.ط) 1973 ص 26.

[2] ديوان اللهب المقدس ص(51).

[3] المصدر نفسه ص 60.

فالشاعر يربط بين الألم كنسب بين أبناء العروبة فإذا تألم عربي هنا في الجزائر أحس العربي الآخر في الشام أو العراق أو تونس ،أو لبنان أو غيرها من الأقطار العربية أحس بالألم ،وشارك أبناء العروبة في ذلك ،وإن هذا الألم والتجاوب بين أبناء العروبة مرده العرق العربي الذي ينبض في كل فرد عربي وهذا هو معنى العروبة أصلا في رأي الشاعر:

اما **أحمد سحنون** فانه هو الآخر تطرق في شعره الذي نظمه بالمعتقل إلى قضية الوحدة العربية والقصيدة الوحيدة التي تطرق فيها إلى هذا الموضوع هي قصيدة **ميلاد وميلاد** حيث يقول فيها:

وغَدًا سَتَشْمَل وِحْدَة وَطَنيَة أَبْنَاءَ أَرْضَ افْرِيقْيَا بِجَنَاح

يَرْقى بِها شَعْب الشَمَال ذرى السهى وَتَذُود عَنْه فُضول كَل وقاح

المَغْرِبُ الأَقْصَى دَعَامَةٌ رُكنهَا وَلَهَا بَنُو الخَضْرَاء دأاة نَجَاح[1]

[1] ديوان أحمد سحنون ص89

2) خصائص شعر السجون في الجزائر

أ) الصدق في التعبير عن الذات:

لقد عني شعر السجون بتصوير العواطف والتجارب الذاتية، والذي نلحظه على جزئه الذاتي، وهو طابع الصِّدق، ويتجلى واضحا، ومؤثرا حيث يتميز بالبساطة والعفوية والصراحة ،لقد كانت هناك عدة مؤشرات توحي إلى هذا الصدق، وأهمها خصوصية مشاعر هؤلاء السجناء حيث قاموا بتصوير صريح لتلك العواطف.

فمثلا **أحمد سحنون** عندما قاده الحنين إلى أهله وبصفة خاصة إلى ابنته الصغيرة إلى التّعبير عن عاطفته بكل صدق.

مَرَّتْ تُغَنِّي فَاسْتَشَارَتْ جَوَى قَلْبِي وَأَشْوَاقِي لِعُصْفُورَتِي

عُصْفُورَةٌ تُشْبِهُهَا رَوْعَةٌ فِي الوَثْبِ وَالتَّغْرِيدِ وَالصُّورَةِ

عُصْفُورَةٌ إنْ جِئْتِ أَرْضَ الحِمَى وَشَمَمْتِ بَيْتاً قَدْ حَوَى صَبِيَّتِي

كُونِي رَسُولاً صَادِقاً لِلَّتِي مِنْ بَيْنِهِمْ تُدْعَى بِفُوزِيَةِ [1]

أما **مفدي زكرياء** السجين المعزول قد عبّر وبصدق عن عزلته هذه ،عندما فرح بالقطة التي آنسته وشاركته طعامه حتى أنه رفع من قدر شأنها، وأبدى لها الاحترام كأنها إنسان ،وعندما فعل الشاعر ذلك فانه كان صادقا أشد الصدق لأنه عبر عن واقع معيش.

[1] – المصدر السابق .ص69.

رَفِيقَتِي فِي شَقَائِي حَلِيفَتِي فِي سَقَامِي

قَسِيمَتِي فِي نَعِيمِي شَرِيكَتِي فِي طَعَامِي

نَامِي عَزِيزَتِي نَامِي

-رَوَّحْتِ فِي السِّجْنِ بَالِي وَكُنْتِ نُورَ ظَلاَمِي

-فَاقَتْ فَوْقَ البَرَايَا تَسْتَوجِبِنِي احْتِرَامِي

إنّ الشاعر" **أحمد سحنون** "في قصيدته "شتاء بوسوي" عبّر بصدق عما يعانونه ويعيشونه وهم سجناء داخل بناية تتسرب إليها المياه وتدخلها الرياح..فهو تحدث عما يعانونه من برد وجليد مميت.

جَيْشٌ تَأَلَّفَ مِنْ بَرْدٍ يَطِيرُ لَهُ قَلْبُ الحَدِيدِ شَظَايَا حِينَ يَغْشَاهُ

وَمِنْ جَلِيدٍ يُحِيلُ الأَرْضَ إنْ لَمَسَتْ كَفَّاهُ مَنْبَتَهُ كَالقَفْرِ مَرْعَـاهُ

وَمِنْ ضَبَابٍ يُرِينَا بِالنَّهَارِ دُجًى لاَيَهْتَدِي فِيهِ سَارِيهِ لِمَرْمَـاهُ

وَمِنْ عَوَاصِفٍ أَوْهَتْ كُلَّ ذِي جِلْدٍ وَوَابِلٍ أَغْرَقَتْنَا مِنْهُ أَمْوَاهُ

فَنَحْنُ لَيْسَ لَنَا جَيْشٌ وَلاَ وِزْرُ وَلاَ سِلاَحٌ وَلاَ عِزٌّ وَلاَ جَاه[1]

-وفي الأخير يمكن القول بأن هؤلاء الشعراء لم يلجأوْا إلى مبدأ الاختلاق والتهويل والمبالغة لا من حيث التعبير عن الذات والوجدان ،ولا من ناحية التعبير عن الموضوع بل هم صادقون كل الصدق بعيدون عن التّكلف والافتعال فكان شعرهم المرآة العاكسة بالنسبة لهم:

[1]-المصدر السابق ص160.

"الشعر الجيد يمتاز قبل كل شيئ بأنه مرآة لما في نفس الشاعر"[1]

ب)الصدق في التعبير عن الموضوع:

إن شعر السجون لم يكن في مجمله تعبيرا عن المشاعر الذاتية والوجدان فقط، بل هناك جزءا كبيرا ينصب على أشياء أخرى منها قضايا ومضامين تتعلق بالعالم الخارجي، وتتجلى في قضايا عامة كالثورة وتطورها، ومثل الحديث عن بطولاتها ومواقف هيئة الأمم المتحدة من القضية الجزائرية، ومثل الحديث عن المخططات الاستعمارية من أجل فضحها.

إن دراسة عنصر الصدق في هاته الموضوعات لايتمثل في مطابقتها للواقع المعيش، وإنما في مدى إيمان الشاعر بها بعيدا ،عن المبالغة والإختلاق، أي أن الشاعر يعبر عما في قرارة نفسه بصدق فمثلا في " اقرأ كتابك" للشاعر **مفدى زكرياء**، فإننا نستنشف بأنه قد عبر بصدق في تغنيه بثورة نوفمبر المجيدة فهو كان بعيدا كل البعد عن التهويل والحماسة، وتعبيره جاء هادءا وصادقا.

إنَّ الجَزَائِرَ قِطْعَةٌ قُدُسِيَّةٌ فِي الكَوْنِ لَحَّنَهاَ الرَّصَاصُ وَوَقَّعاَ!

وَقَصِيدَةٌ أَزَلِيَّةٌ، أَبْيَاتُـهَا حَمْرَاءُ كَانَ لَهاَ نُفَمْبَرُ مَطْلَعَا

نَظَمَتْ قَوَافِيهاَ الجَمَاجِمُ فِي الوَغَى وَسَقَى النَّجِيعُ رَوِيَّهاَ فَتَدَفَّعَا

[1]-دراسة الأدب العربي، ناصف مصطفى دار الأندلس.بيروت.1981، ط2، ص48.

غَنَّى بِهاَ حُرُّ الضَّمِيرِ فَأَيْقَظَتْ شَعْبًا إِلَى التَّحْرِيرِ شَمَّرَ مُسْرِعَا

سَمِعَ الأَصَمُّ رَنِينَهاَ فَعَنَا لَهَا وَرَأَى بِهاَ الأَعْمَى الطَّرِيقَ الأَنْصَعَا[1]

كما **أن أحمد سحنون** هو الآخر ذهب إلى ما ذهب إليه **مفدى زكرياء** وهو التعبير الصادق فالشاعر تغنى بالفدائي بكل صدق بعيدا عن المبالغة.

وَهَبَّ كَعَاصِفَةٍ عَاتِيَةٍ يُبِيدُ السُّرُورَ وَيَمْحُو الفَسَادَا

وَحَدَّقَ فِي الأُفُقِ الأَوْسَعِ كَمَا حَدَّقَ الصَّقْرُ يَبْغِي الاصْدِيَادَا[2]

ت) التفاؤل والتسامي:

بالرغم من تردي الظروف المعيشية لشعراء المسجونين إلى أن نظرتهم إلى الأمور كانت تتسم بالتفاؤل وتصطبغ بالتعالي عن الآلام، فالذي يطلع مثلا على قصيدة **"الذبيح الصاعد"** يلحظ بأنها قمة في التفاؤل **"فمفدى زكرياء** في قصيدته وظف هذا المبدأ، وهذا جلي كون أن هذه القصيدة تصف حدثا محزنا وهو إعدام الشهيد **أحمد زبانة** إلا أنّ الشاعر رأى العكس واعتبر أن هذا الشهيد هو رمز الخلود ورمز العهد الجديد.

يَازَبَانَا" وَيَا رِفَاقَ "زَبَانَا" عِشْتُمْ كَالوُجُودِ، دَهْرًا مَدِيدَا

مَنْ فِي البِلاَدِ أَضْحَى"زَبَانَا" وَتَمَنَّى بِأَنْ يَمُوتَ شَهِيدَا

[1] -اللهب المقدس ص:58.

[2] ديوان أحمد سحنون ص95

أَنْتُمْ يَا رِفَاقُ قُرْبَانُ شَعْبٍ كُنْتُمُ البَعْثَ فِيهِ وَالتَّجْدِيدَا

فَاقْبَلُوهَا ابْتِهَالَةً مَعَ الـرَّشَ اشِ أَوْزَانَهَا فَصَارَتْ قَصِيدَا

وَاسْتَرِيحُوا إِلَى جِوَارٍ كَرِيمٍ وَاطْمَئِنُّوا فَإِنَّنَا لَـــتنْ نَحِيدَا [1]

ونستطيع أن نرصد روح الشاعر **أحمد سحنون** المتسامية والمتفائلة عندما تحدث عن النصر والاستقلال بالرّغم من معرفته بقوة وجبروت هذا الاحتلال إلا أنه لم يَرْكُن لليأس والتشاؤم

أَيُّهَا المَعْبَدُ يَارَمْزَ الجـهَادْ

لاَ تَبِتْ بِالهَمِّ مَكْــلُومَ الفُؤَاد

سَوْفَ يَجْلُو النَّصْرُ لَيْلَ الاضْطِهَادْ

وَتَرَى عَيـــــــــْنَاكَ تَحْرِيرَ البِلاَدْ [2]

إن الرّوح القومية تبدو جلية وبارزة في هذه النصوص وهي إن دلت فا نما تدل على شعور السجناء القوي وصفائهم الذهني واستقرارهم النفسي في أحلك الظروف المؤدية الى الاضطراب واليأس، والكآبة مما دفعهم الى النّظر للواقع المعيش بنظرة متفائلة،متسامية،بالرغم من صعوبته، ومأساويته.

---

[1] اللهب المقدس ص19

[2] ديوان أحمد سحنون ص157

ث)العناية بالمضمون: إن المطلع على أدب السّجون في الجزائر فانه سيلحظ فيه ظاهرة بارزة ومسيطرة وهي التركيز على التعبئة السياسية، ومناصرة القضية الجزائرية الى حد بعيد ،وهذا بالضرورة ما قادهم في الكثير من الأحيان إلى الضعف الفني ،وخير دليل على ذلك هو اعترافات هؤلاء الشعراء أنفسهم فمقدما ت دواوينهم لا تخلو من هذه الاعترافات المزعومة التي تبين بأن الثورة قد شغلتهم عن الابداع الفني ونبدأ بقول عبد **الرحمان بن العقون**(....**لست بالشاعر المكثر الذي يتصور الذي يتصور الأحاديث،فيأتيه الكلام منسجما ،ولا بالشاعر المُجيد الذي يختار الموضوع فيسرح ،فكره) في دنيا الخيال)** [1]وهذا ما نجده أيضا عند الشاعر **مفدي زكرياء** حين قال في مقدمة اللهب المقدس(**لم أُعن في اللهب المقدس بالفن والصناعة،عنايتي بالتعبئة الثورية،وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستُها في جراحاته المطلولة ..والشعر الحق –في نظري–إلهام لا فن ،وعفوية لاصناعة**) [2]كما أن الشاعر **أحمد سحنون** لم يخرج عن الإطار العام للشاعرين السابقين ،يقول في مقدمة ديوانه:(**إن سبب زهدي في تقديم ديواني الى القراء ،هو أنني لا أرضى عن شعري لأنني لا أراه معبرا عما أشعر به من صور ،وأخيلة**) [3] لقد ضحى **أحمد سحنون** بالجانب الفني من أجل خدمة القضية الوطنية، فأعتنى بالجانب الذي يخدم هذه القضية وهو المضمون فكان شعره ذا طابع توعوي وتحريضي لفائدة الثورة الجزائرية وهذا واضح في الأبيات التالية:

---

[1] ديوان العقون(المقدمة)

[2] ديوان اللهب المقدس(المقدمة)

[3] ديوان أحمد سحنون(المقدمة)

فَيَا مَنْ وَنَى عَنْ رِكَابِ الشَّبَابِ تَقَدَّمْ فَإِنَّكَ خُنْتَ البِلاَدَا

فَكَمْ غَادَةٌ فِي الجِبَالِ كَعَابٌ غَدَتْ لِظُهُورِ الشَّبَابِ سِنَادَا

فَفِي ثَوْرَةِ الشَّعْبِ فَصْلُ الخِطَابْ إِذَا سَئِمَ الظُّلْمَ وَالاضْطِهَادَا[1]

ولعل الأبيات التالية التي هي من قصيدة **بشرى الجزائر** تبين مدى إهمال الشاعر للجانب الفني فكان أسلوبه فيها قريبا إلى النثر منه إلى الشعر.

وَقُلْ لِلْأُلَى سَارُوا بِغَيْرِ تَبَصُّرٍ لِقِتَالِهِمْ،سِرْتُمْ لِشَرِّ مَآلِ

وَطَلَبْتُمْ مَا لَيْسَ يُدْرَكُ فَارْجِعُوا مُتَعَثِّرِينَ بِخَيْبَةِ الآمَالِ

وَيْحَ المَطَامِعِ كَمْ تَزِجُّ بِأَهْلِهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِوَبَالِ

لَوْلاَ المَطَامِعُ مَا اسْتَبَاحَ لِنَفْسِهِ وَرَدَّ الرَّدَى شَعْبٌ لأَجْلِ المَالِ

وَلَوْلاَ المَطَامِعُ مَا تَنَكَّبَ سَالِكٌ نَهْجَ الهُدَى وَاخْتَارَ نَهْجَ ضَلاَلِ

قُلْ لِلْفَرَنْسِيسِ الَّذِينَ تَجَبَّرُوا أَسْرَفْتُمْ فِي التِّيهِ وَالإِذْلاَلِ

لَمْ تَبْقَ سُوقٌ لِلرَّقِيقِ وَلَمْ يَعُدْ مُلْك لِأَحْرَارٍ وَلاَ لِمَوَّالِ[2]

[1] المصدر السابق ص 96 .

[2] المصدر نفسه ص 124.

أما من جانب آخر فإننا نجد **مفدي زكرياء** هو الآخر يحاول إثارة الهمم، وهز النفوس حتى يهب شعبه ثائرا في وجه العدو عندما يتحدث عن صور البؤس والشقاء التي يعيشونها ويذكرهم بالظلم،والقصد من وراء هذا كله هو الإقرار بأحد أهم العوامل وأقواها في إشعال فتيل الثورة.

أَمِنَ العَدْلِ صَاحِبُ الدَّارِ يَشْقَى وَدَخِيلٌ بِهاَ يَعِيشُ سَعِيدَا؟

أَمِنَ العَدْلِ صَاحِبُ الدَّارِ يَعْرَى وَغَرِيبٌ يَحْتَلُّ قَصْرًا مَشِيدَا؟

وَيَجُوعُ ابْنُهاَ فَيُعْدَمُ قُوتاً وَيَنَالُ الدَّخِيلُ عَيْشاً رَغِيدَا

وَيُبِيحُ المُسْتَعْمِرُونَ حِماَهاَ وَيَظَلُّ ابْنُهَا طَرِيدًا شَرِيداً[1]

وفي الأخير يمكن القول :لقد انبرى هؤلاء الشعراء يخدمون الثورة بشعرهم فابتعدوا بذلك عن التصنُع والتكلف،فكان شعرهم أكثر تقبلا واستجابة لأنه شعر هادف.

[1] ديوان اللهب المقدس، ص16

3المعجم الشعري لشعر السجون في الجزائر:

المقصود بالمعجم الشعري هنا هو مجموعة الألفاظ الأساسية المشكلة لشاعرية الشاعر ثقافيا وحضاريا، والمعجم بهذا المعنى يصبح عنصرا فاعلا في عملية الإبداع الفني فلا يستطيع الباحث أن يتجاهل الحديث عنه إذا أراد أن يعرف سر اللفظة المستعملة، ومدى إفصاحها عن تجربة الشاعر وقدرتها على اختزان طاقات دلالية وإيحائية وتعبيرية وموسيقية فاللفظة هي التي تحدد شخصية الشاعر وأفكاره وهي التي تعبر عن حقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه.

والشاعر الأصيل كما يرى النقاد هو ما كانت ألفاظه تتضح بالقيم فتقتصر من ألفاظه الموسيقى والمعنى والذاكرة والبساطة والزخرفة والصورة والفكرة والقوة الدرامية والتركيز الغنائي والعبارة الصريحة والكناية واللون والضوء والقوة [1].

ولأهمية هذا المعجم نحاول أن نقتصر البحث عنه وتبيين العلاقة بين المعجم والشاعر ومدى قدرة الألفاظ على التعبير عن ظاهرة الغربة والحنين.

كان معجم هؤلاء الشعراء قديما يمتد طاقته من القرآن الكريم والشعر العربي القديم وما يتعلق بالأثر الإسلامي من شخصيات دينية وتاريخية وعوالم والقارئ لنماذج الشعر العربي الحديث لا يجد صعوبة في إدراك ذلك.

---

[1] الشعر كيف نفهمه ونتذوقه إليزابت درو. ترجمة د. إبراهيم الشوس مكتبة منيمة.بيروت(دط).(دت). ص91.

وهناك عدة أسباب تقف وراء هذا الاهتمام.

1- الثقافة العربية الخالصة لهؤلاء الشعراء فقد دفعهم المناخ الثقافي المسيطر إلى غاية محددة هي "التمكن إلى حد مستطاع من المادة التي أنتجتها الأجيال السابقة"[1] وتتمثل في الأمالي والأغاني وللحماسة وفي دواوين الشعراء الفحول مثل: **المتنبي والبحتري وابن الرومي وابن زيدون** وغيرهم وكتب الدين والفقه وما يتفرع عنها من شروح وتفاسير فكانت هذه المصنفات بلغة سليمة فصيحة فحرسوا على التمسك بها وعضوا عليها بالنواجذ.

2- الإقبال على اللغة العربية باعتبارها لغة دين، ويشمل هذا السبب شعراء الإصلاح فالاحتفاظ بأصولها وقواعدها والاحتياط في صيانتها من التطور وحصار فشعراء الإصلاح باعتبار رجال علم وفكر ديني إصلاحي رأوا في اللغة أمرا مقدسا لأنها لغة القرآن فالتجديد فيها أو الخروج عن مقاييس القدماء أو الثورة على قوالبها يعد خروجا عن المقدسات .

تعاملهم مع القاموس اللغوي استجابة لدعوة لها أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية ورد فعل تلقائي لواقع كان يعيشه المثقف العربي في عمره إرهاب ثقافي [2].

هكذا أصبحت العناية بالقاموس القديم - في طرق هذا الجيل – مقصودة إذ الملاحظ أنهم أحسوا فعلا بغربة اللغة العربية داخل وطنها كغربة أنفسهم فهي لم تتجاوز حلقات التدريس وأجواء المناسبات الدينية الضيقة التي لا تشكل أدنى خطر على الاستعمار، فلغة الحكم هي فرنسية ولغة

---

[1] أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث. د. كمال نشأت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة (د.ط).1967ص233

[2] الشعر الديني الجزائري الحديث. د. عبد الله الركيبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 1981 ص 633.

الشعب هي العامية ولهذا كان الحرص وكان هذا التقليد، وكأنهم بذلك يريدون قول إن اعتناق غيره هو الانفصال عن التراث العربي والسقوط في الاستلاب والتغريب. وانطلاقا من هذا ندرك أن أغلبة هذه الألفاظ والرموز التي يعبر عن غربتهم وحنينهم هي مشتقات من التراث الإسلامي والتاريخ والشعر العربي القديم.

ويعد القرآن الكريم المصدر الأول لشعراء السجن في الجزائر فقد عاشوا منجذبين إليه ومستمدين منه أفكاره الأساسية ولغتهم الشعرية، وتدور هذا اللغة في محاور أساسية هي:

هجر الواقع الرديء الذي يقف دون أن يرتقي الإنسان بإنسانيته ونبذ الأخلاق الفاسدة والفكر المتخلف والضمير الميت والاعتزاز بالوطن والحنين إلى الحرية والانعتاق وقد سلك هذا السبيل **أحمد سحنون ومفدي زكرياء وغيرهم.**

فهم شعراء لاقوا كثيرا من المتاعب في سبيل الحفاظ على تراثهم الحضاري وهويتهم العربية الإسلامية.

أ)المعجم الديني:

يعد **مفدي زكرياء** أكثر شعراء السجن العناية إلى توظيف المفردات القرآنية إذ عدت سجنياته متفردة على أي إنتاج جزائري آخر ففيها هذه الألفاظ القرآنية (صياصيك، زلفى إلى الله، الليل سجى، الكواكب، القاصرات، الذاريات، الغافلات، المراضع، رقوما، غسليني، زلت الأرض زلزالها إن ربك أوحى لها [1]

[1] الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث. د. عمر بوقرورة ص196.

واقترابه من المعجم القرآني لا يقف عند الألفاظ بل يتعداها إلى الصيغ والآيات التي أخذت بسيئ من التحوير، فينشد قائلا:

وفِي صَحْراتِنَا جَنَات عدن بِهَا تَنْسابُ ثَرَوَاتِنَا انْسِيَابَا

وَتَحْتَ خِيَامَهَا إنْبحَبَسَتْ عيون لَهَا هَارُوتُ قَدْ سَجَدَ احْتِسَابَا

وَتَحْتَ خِيَامها انْبَجَسَتْ عُيُون سَالَت مِنْ فَمِ الدُنْيَا لُعَابَا

وإنَا أُمَةً وَسَطَ نصافي مَوَدَتُنَا الألى قَالُوا صَوَابَا

وخُضْنَاهَا ثَلاثُ سِنينَ دَأْبًا فَأَصْبَحْنَا مِنَ التَّحْرِيرِ قَابَا.[1]

يتضح من الأبيات السابقة مدى استيعاب الشاعر للنص القرآني إذ جمع أربع سور في أبيات معدودة، ولكنه لم يتوجه بالمعنى وجهة جديدة فتوظيف هذا المعجم لا يعدو أن يكون مجرد إعجاب شخصي بالعبارة الموروثة والتي تحولت إلى نسيج في الذاكرة.

أما **أحمد سحنون** هو الآخر عاد إلى **المعجم القرآني**، في نجواه إلى ربه كي يخلصه من غربته فكان معجمه أقرب إلى النثر لأن أحمد سحنون زاوج المعجم القرآني والأداءالعامي:

رَبَّاه لَمْ تَبْقَ لَنَا حِيْلَة ومَالَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوة

وَمَالَنَا غَيْرُك مِن عَاصِم يَعْصِمُنَا مِن هَذِه الهوة[2]

[1] ديوان اللهب المقدس. ص34.

[2] ديوان أحمد سحنون ص161.

لذلك كان الشاعر **أحمد سحنون** أكثر تعبيرا عن هذا المعجم في فترات العزلة فشاع عنده هذا المعجم الديني (المباح، الحرام، الصبر، اليأس، الجنة، النار...، الشورى، الغزو...).

ولعل ما لم نذكره أيضا أن هناك الكثير من القصائد مثل قصيدة **ليلة الشك** ،**ذكرى بدر**، **ذكرى نزول القرآن** ،**ويا لها من ليلة** وهي قصائد دينية عاد إليها الشاعر لنظمها وذلك لقيمتها العملية ولعلاقتها بالمجتمع الجزائري. فالغاية من ورائها كان الوصول إلى إحداث تغيير في الأوضاع والتمهيد لإعادة بناء مجتمع إسلامي أفضل فالشاعر حين كان يسرد أحداث هذه المناسبات الدينية كان يختم قصيدته بدعوات إصلاحية حيث كان ينادي بضرورة الرجوع إلى الدين والسنة من أجل تحقيق النصر ففي صياغته لقصيدة **الإسراء والمعراج** نجده يدعو إلى التفاني وتقديم التضحيات لأنها أساس النهوض والتطور والازدهار.

هَذِهِ اللَّيْلَة مِن أَمْجَادِنا

سِرهَا كَالرُوحِ فِي أَجْسَادِنَا

ذِكْرَاها يُوحِي إلى أَوْلَادِنا

إنَنَا أُمَة لَا تَهْرَم

هَذِه اللَيْلَة قَدْ غَابَ دُجَاهَا

فإذا عدنا إلى دين الهدى

عاد ماضاع من المجد سدى [1]

لقد استحوذ المعتقد الديني على حصة كبيرة في أشعار الشاعر. حيث أنه جعل هذا الدين ركيزة أساسية في مواجهة المستعمر. وإن استعمال الشاعر لألفاظ ذات دلالات وإيحاءات دينية لم يكن عفويا بل بالعكس فالشاعر وإن لم نقل إن كان يتكلف في توظيفها كان استخدامه مقصودا. فهناك عدة قصائد تؤكد حكمنا إذ كان تعمد الشاعر فيها إلى إيراد وتوظيف ألفاظ تصب في مجملها في الإصلاح والتوعية الدينية من أجل التمسك الدين وعبادته بالقرآن الكريم وبتعاليمه ومنها:

قصيدة (ذكريات المجد) التي نظمت وألقيت بمعتقل الضاية

ذِكْرَيَاتِ المَجْد فِي المَاضِي المَجِيدِ مُغْرِبَاتِي كُل يَوْم بِنَشِيد

مَنْ لَه مَاضِي كَمَاضِي العَرَب فِي صَفَحَاتِ المَجْدِ وَالصِيت البَعِيد

كَانَت الدُنْيَا ظَلَامًا مُطْبَقًا طَافِحًا بِالشَّر وَالظُلْمِ المُبِيد

وإذَا الكَوْن تَغْشَاه السَنَا مُشْرِقَ الأَنْوَار مِنْ ثَغْرٍ وَلِيد

وإذا ابْنُ العَرَب طَهَ قَدْ أَتَى مُنْقِذًا صَرْعَى عَن الهَوَى أَسْرَى الجُمُود

واذَا بالظُلم مَنْهُوك القِوَى نَاكِسَ الأَعْلَامِ مَقْهُورَ الجُنُود

وإذا ابنُ البَيد وَالفَقْرُ لَه فِي مَوَارِيث العُلا أَقْوَى رَصِيد[2]

---

[1] المصدر السابق ص206.

[2] المصدر نفسه ص200.

إن المتأمل في هذه القصيدة يستشف لأن الشاعر وظف معجما دينيا وهو الاستعانة بسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – من أجل خلع ثياب الذل والهوان.

إن المعجم الديني إنما يعبر عن تمسك هؤلاء الشعراء بالأثر الإسلامي قراءة وحفظا فهو الأنموذج الذي يجب أن يتخذوه في معاناتهم حيث بدت الغربة الروحية والفكرية والمعاناة الجسدية داخل السجون أساسا موجها لهذا المعجم ومن أجل هذا بدت الألفاظ المقيسة حالات ومواقف تعبّر عن همومهم وظمأ أرواحهم إلى التاريخ المجيد (الماضي).[1]

ب) المعجم التاريخي:

تغرى كثرة المادة التاريخية إلى غربة الشعراء وسط هذا المحيط المشحون بالتناقض. فراح هؤلاء الشعراء – شعراء السجن – يبحثون عن دواتهم داخل تاريخهم الذي يحقق لهم ما عجزوا عنه وما عجزوا عن بلوغه في ظل الاستبداد.

فقد زاد إحساسهم وتمسكهم بالتاريخ وزاد معهم التعلق بوطن الآباء والأجداد، وتتجلى المادة التاريخية في أسماء الأعلام والتي تتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ من الأنبياء وولاة وقادة وأدباء ومفكرين ومن أسماء الأنبياء وما يتعلق بها من إشارات تاريخية[2]

ومن أسماء القادة والفاتحين نجد **ابن الوليد، ابن عرف، ابن عفان أبي بكر، علي، صلاح الدين، الرشيد.**

---

[1] الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث. د. عمر بوقرورة ص200.

[2] المرجع نفسه ص200.

وهذا ما وظفه **أحمد سحنون** في قصيدة ذكريات المجد حيث يقول فيها:

هَلْ أَرَى التَّارِيخَ فِي أَبْطَالِه مُسَعِرًا فِي الحَرْب مِثْلَ ابْن الوَلِيد

أَمْ أَرَى مِثْل ابْن عَوْف أَوْ آرى كَابْن عَفَان أَخَا فَضْلٍ وَوجود.

هَلْ أَرَى مِثْل أَبِي بَكْر إِذَا ضَلَت الآرَاء، ذَا رَأْي سَدِيد

أَوْ أَرَى مِثْلَ (عَلي) مَثَلاً لِلْتُقَى وَالعِلْم وَالبُؤس الشَدِيد

هَلْ أَرَى مِثْلَ صَلاحُ الدِّين فِي سِيَاسَة الْعِلم أَو مِثْلُ الرَشِيد

إِنَّنَا أَحْفَاد أَبْطَال الوَرَى إِنَّنَا أَبْطُال تَارِيخ مَجِيد![1]

إن هذا التوظيف توظيف مباشر جاد بلغة مقصودة وشفافة لا تكتفها الغموض فابن الوليد مسعر العرب، وان عفان أخو الفضل والجود وأبو بكر ذو الرأي السديد وعلي مثل للعلم والبأس الشديد ثم صلاح الدين والرشيد من عظماء السياسة والقيادة الراشدة. ولقد اعتمد أحمد سحنون في سجنيته هذا المعجم التاريخي لأنه مستمد ومستوحى مباشرة من تاريخ عظمائه.

ونفسر الاعتماد الواسع على التاريخ من طرف شعراء السجن هو محاولتهم الإفصاح عن الاضطهاد الفكري والروحي الذي يعانونه، وتأكيدا للهوية التاريخية للإنسان الجزائري في مواجهة الغربة الاستعماري[2].

ت)المعجم اللغوي:

---

[1] ديوان أحمد سحنون ص(201).

[2] الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث. د. عمر بوقرورة ص201.

إذا انتقلنا إلى المعجم اللغوي التقليدي فإننا نجد أن الحاسة اللغوية لهؤلاء الشعراء قد تفتحت منذ الصبا على لغة الأدب العربي القديم فلا بد أن يحنو في لغتهم الشعرية منحى القدماء ويحاكونهم في القاموس الخاص بهم بيد أن الأثر المباشر لهذا المعجم يمكن أن يغرى إلى العصر العباسي حيث آلت زعامة الشعر إلى المتبني وبن تمام والبحتري وبن الرومي بحيث ظل معجمهم متداولا بحماس لدى شعرائنا خاصة ما دل على الغربة وما عبر عن الحنين.

وتتضح علاقتهم بالمعجم الشعري الموروث بصورة أكبر حين يتعرض بعضهم لكتابة قصائد ذات شكل قديم أو ما يعرف (بالمعارضات) فقد كانوا يعارضون الأوائل في أشهر قصائدهم وأروعها بحيث يوظف النص المعارض في جو فكري وشعوري يوازي المثير الأصلي للشاعر المستلهم وهكذا فقد عزت بعض القصائد مدى لنماذج معروفة من الشعر العباسي[1]

إن القارئ لقصائد -**مفدي زكرياء** – (السجنيات) فإنه يدرك بأنها منبع على منوال الشعر العربي. فنجد اللغة الفخمة والجزلة والألفاظ القوية التي توحي بالحكمة والأساليب الموروثة، فكل هذه الدلالات توجهنا وتذكرنا بالشعر العربي في عصره الذهبي.[2]

وهنا نستدل بقصيدة زنزانة العذاب رقم 73.

أَنَامُ مِلْءَ عُيُونِي، غِبْطَةً وَرِضَى عَلَى صَيَاصِيك لا هَمٌ وَلَا قَلَقُ[3].

---

[1] ينظر المرجع السابق ص203.

[2] ينظر المرجع نفسه.ص203.

[3] ديوان اللهب المقدس. ص21.

فالمعجم الذي قدمه الشاعر لا يخرج عمّا قدمه **المتنبي** في قوله:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسهرُ الخَلْق جَرَّاهَا وَيَخْتَصِم.[1]

أما الشاعر (**عبد الرحمان بن العقون**) فإننا لا نكاد نمر على بيت شعري حتى تستوقفنا لفظة وصيغة أو نمط من أنماط الصياغة أو أية إشارة قريبة أو بعيدة إلى بيت شعري قديم إذ يقول :

ألَا هل الوادي الحزين لنا قرب وهل في دياجي البين عن قريتي قرب

مرابع لهوى في صباي عشقتها وديار أحباب فؤادي بهم صبب[2].

فإذا لاحظنا هذين البيتين لوجدنا أن الشاعر أسهب في توظيف الموروث القديم كما أن هذه الأبيات يوضح لنا مدى التوكل والاعتماد لغة الأقدمين وهذا عندما قام بتوظيف الألفاظ التالية (ألا، قرب، دياجي، مرابع لهوي، بهم صبب).

[1] ديوان المتنبي. ص24.

2 ديوان العقون ص75

4) مصادر الصورة الشعرية في شعر السجون الجزائري:

أ)القرآن الكريم:يعد القرآن الكريم مصدرا أساسيا عند شعراء السجن ، سواء ما تعلق بالآيات القرآنية ، أو الإشـارات التّاريخية الإسلامية ، ولكنها لا تتعدى الالتفاتة الصريحة العابرة ،التي تعبر عن موقف ذهني دون أن تكشف عن موقف ينمو و يتطورن ويصبح فاعلا في تجربة الشاعر

وإذا أتينا إلى عرض مصادر الصورة الشعرية وتحليلها عند **أحمد سحنون** ، فإننا سنجد القرآن الكريم في مقدمة المصادر ، سواء تعلق الآمر بالآيات القرآنية أم بالإشارات التاريخية الإسلامية ، فها هو في قصيدته **فرحة الاوبة**،يضع صورة بلاده مقابلة لصورة الفردوس ويجعل غربته وسجنه مقابل صورة (سوط العذاب) ، يقول :

عَوْدَةُ الحرّ إلى أَوْطأنِه ! دُونَهَا عَوْدة أَيام الشّـــباب

مَا بِلاَدي غَيْرَ فِرْدَوس وَمَا غُربتي عَنْها سِوى سَوْط عَذَاب [1]

فالشاعر يتعامل مع القرآن الكريم في استنباط صورته الشعرية ، ويجعل منه ملهمه ،إن (**أحمد سحنون**) في استعماله الشعري هذا ، اكتفى بنقل الصورة الواقعية ومقابلتها بصورة قرآنية دون أن يوّجه هذه الصورة نحو وجهة عميقة أو استعمال ايحائى ، وإنما كانت مجرد تصوير جيد يعتمد استحضار صورتين ، ليعبّر بواحدة عن فرحة بالأوبة ، وبالأخرى عن عذابه وغربته الماضية وقد

---

[1] ديوان .أحمد سحنون .ص2

يستوحي الشاعر صورته من لحظة دينية قرآنية مرّت عليه في سجنه ، وأصدق ما نمثل به هنا قوله في سجنيته : **يوم ميلاد**

يا صَاحبَ الصَوت النّديّ الرَّخيم وَ صَاحبَ الخُلْق الرَّضي الحَمِيد

رَتّل لَنَا آي الكِتاب الحَـــكِيم فَهيَّ مَلاذ لِلْوجُود الشَّريْـــد

وافْتَح الْمَصحَف مِن حِينِـــه يُرتّل الآي بِصَوْتِ مَديد[1]

ولعل ابرز استلهام للآية القرآنية نجده عند مفدي زكرياء في حنينه الى بيئته الأصلية(الصحراء) متغنيا بجمالها وهو حبيس موثوق بسجن **البرواقية**:

في صَحـــرائِنا تِبْرٌ وتَمْـرٌ كِلا الذّهَبَيْن رَاقَ بها وَطَـابَا

وَهَزَّت مَرْيَمُ العَذْرَآ نَخِيلاً فاسقَطَت الفُلُوذَجَ والرُضَابَا [2]

فلقد جاء في القرآن الكريم﴿وهزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطْبًا جنيًّا﴾[3]

والشاعر قد تمثل هذه الصورة دون أن يصوغها بما يلائم موقفه لان الصورة في الآية الكريمة توحي بالأمن والطمأنينة، والبركة للسيدة العذراء، ولكنها ظلت عنده مجرد إعجاب بالنص القرآني اقتبسه ليدل على حنينه لوطن لا مثيل له.

---

[1] المصدر السابق ص (83)

[2] ديوان اللهب المقدس ص(37)

[3] سورة مريم ،الآية(25).

ولعل أجمل صورة استنباطها الشاعر تلك التي استمدها من الآية الكريمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾[1]

حيث عبر فيها بصدق واقتدار عما يعيشه من غربة موحشة بين جدران السجن وهذه الصورة هي في قوله

وَرِسَالةٌ صَاغَ الشَّهيدُ بَيَانَها وَزَكَا بِهَا في الْخَالِدين عِصَام

أَسْرى بِهَا مِنْ بَرْبَرُوس خَيَالَهُ وَهَفَتْ بِهِ لِحِماكُم الأَحْلامُ[2]

لقد تكرر اغتراف شاعر الثورة من القرآن الكريم فهو كثير الترداد في شعره ونتوقف هنا عند قصيدة "الذبيح الصاعد"لنرصد مظاهر العودة الى القرآن كمصدر للصورة الشعرية ففي قوله وبالتحديد في البيت السابع عشر:

زَعَمُوا....قَتْلَه وَ مَا صَلَبُوه لَيسَ في الخَالِدين عِيسَى الوَحِيدَا[3]

الشاعر استحضر قول الله تعالى الذي تحدث فيه عن قصة سيدنا عيسى عليه السلام

قال تعالى :﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه وَلَكِن شُبّه لَهُمْ ،وإنّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا﴾[4]

---

[1] سورة الإسراء الآية (1).

[2] ديوان اللهب المقدس 25.

[3] المصدر نفسه .ص(11).

[4] سورة النساء الاية (157).

وقوله أيضا: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَ كَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

إن الشاعر بهذا التصوير يحاول ان يقول بأن (الشهيد لا يقتل .وهو لا يعترف بذلك وهذا ما تجلى عند ذكره لقصة صلب عيسى عليه السلام. [2]

وفي الاخير يمكن القول بان هدف شعراء السجن من وراء العودة الى القرآن الكريم ،وتوظيفه في الصورة الشعرية،هو من أجل اعطاء قيمة عظيمة لا شعارهم، وهذه القيمة هي قيم روحية مستمدة من القرآن.

ب)الشعر العربي القديم:، إن ثاني المصادر التي يستمد منها الشاعر الجزائري السجين قصائده ، كانت التراث ا لعربي القديم ، والذي يتمثل في الشعر العربي . وأتى به شعراء السجن لتفحيل لغتهم الشعرية وتجزيلها والرقي بها الى مستوى الشعراء الكبار **عمرو بن كلثوم، والمتنبي**.....

ولعل أبرز بيان على تأثر أحمد سحنون بصورة الشعر العربي القديم نجده في قصيدة (**رباه**):

ويَظَل يَرْنُو لِلْطَرِيق فَلَا يَرَى في العَائِدين مَعَ المَسَاءْ أَبَاه

وَيَبِيتُ يَحْلُم فِي الْمَنَامِ بِرُؤْيَتِي فَإِذَا جَفَاه النَّوم زَادَ أَسَـاه[3]

---

[1] سورة النساء الاية.158.

[2] أدب المقاومة الوطنية في الجزائر(1830 .1962)أ.دعبدالملك مرتاض ص464.

[3] ديوان أحمد سحنون ص159

فلدينا في هذه الصورة البنت المتشوقة التي تقف حائرة،تراقب العائدين لتسألهم عن أبيها الحبيس البعيد عن الدّار .تقابل هذه الصورة ، صورة الأم عند **أبي فراس** ، وهي تسأل الركبان جاهدة عن ابنها :

تَسأَلُ عَنّا الرَّكبانَ جَاهـــدَة بِأَدْمُع مَا تَكَادُ تُمْهِلُـــهَا

يَا مَنْ رَأَى لِي بحصن خرشنة أسد شرى في القيود أرجلها [1]

كما أن الشاعر أيضا أوحت إليه العصفورة بقصيدة ، على غرار ما أوحته الحمامة " لأبي فراس " ، فراح **أحمد سحنون** يخاطبها قائلا:

عُصْفورة مَرَّت عَلَى غُرْفَتِي تَشْدو بِلَحْنٍ سَاحِر النَّبْرة [2]

وتصبح شخصية **أبي فراس** مصدرا لشعراء السجون الفرنسية **فمفدي زكرياء** يحاول ان يجعل موقف الشاعر من قومه خاصا به .

يقول **مفدي** في قصيدة **زنزانة العذاب**:

سيَذْكُرُون إذَا اللّيْلُ الرَّهِيب سَجَى وَجَلْجَل الْخَطبُ أنّي فِي الدُجى فَلقُ

حَسْبي وَحَسْب أُنَاسي أَن غَدَوتُ لَهُم عُوداً يُعطّره ذِكرى وَأَحْتَرِقُ. [3]

فهو يستعير صورة **لأبي فراس الحمداني** في قوله :

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني.ص(241)

[2] ديوان أحمد سحنون 69

[3] ديوان اللهب المقدّس.ص29.

سيَذكُرني قَوْمِي إذَا جَدّ جِدُّهُم فَي اللّيْلَةِ الظَّلْمَاء يُفْتَقَد البَدرُ.[1]

ولعل **مفدي زكرياء** من أكثر شعراء السجن حرصا في استعارته صور القدماء وفنّهم ،فهو لا يكتفي ببيان منزلته بين قومه أن ينتزع صورة **لأبي فراس الحمداني**.فحين يقول في نفس القصيدة :

يَا سِجْنُ مَا أَنْتَ لَا أَخْشَاكَ تَعْرِفُنِي مَن يُحذِقِ البَحْر لا يُحْذقْ بِه الغَرَق.[2]

فالشاعر هنا يستعير صورة لأحد الشعراء وهو **المتنبي** حين قال :

ومَاَ كمَد الحُسَّادُ شَيْء قَصَدْتُه ولَكِنَّه مَنْ يَزْحَم الْبَحر يَغْرَق.[3]

وينجح الشاعر **مفدي زكرياء** في توليد صور جديدة من خلال الموروث الذي يشكل ثقافة الشعرية يقول:

وتَغْرُبُ الشمس تَطْوِي فِي مَلَاءَتِهَا سِرَّيْنِ أَشْفِقُ أَنْ يُفْشِيهمَا الشَفَق[4].

فاذا نظرنا إلى البيت بعناية لوجدنا أن الشاعر جمع مكون الصورة (تطوي في ملاءتها سرين)من بيت **لأبن زيدون** في نونيته المشهورة:

سِرَّان فِي خَاطِر الظَّلْمَاء يَكْتُمُنَا حَتَى يَكَاد لِسَان الصُّبح يُشْفِينَا[5]

---

[1] ديوان أبي فراس الحمداني.ص161.

[2] اللهب المقدّس.ص21.

[3] ديوان المتنبي .ص69.

[4] اللهب المقدس. ص25

[5] ديوان ابن زيدون ص12

وفي الأخير يمكن القول بأن شعراء السجن اعتمدوا في صورتهم الشعرية على التراث والذي يشتمل على القرآن الكريم ،وعلى الشّعر العربي القديم .

خاتمة

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث تبدوا الصورة التي انتهى إليها والتي تبين المرحلة التي قطعناها لنطل على نافذة من شعر الجزائر، والتي قد تكون مجهولة لدى الكثير من الناس وهي نافذة شعر السجون.

يمكن أن نسجل بعض الملاحظات التي كانت تتصل اتصالا وثيقا بهذا الجنس الشعري:

-إن شعراء السجن قد عبروا عن إحساسهم العميق بكل عفوية سواء ما تعلق بالقضايا الوطنية كالحنين إلى الوطن، أو ما تعلق بحياتهم الشخصية على سبيل المثال (الحنين إلى الأبناء، والأهل، والأحبة وغيرهم) وهي ما تسمى بالبواعث الشخصية.

-هناك ملاحظة تلفت الدارس للشعر الجزائري، وهي تلك النظرة الصادقة التي ابتعدت عن مبدأ الاختلاق والافتعال والحماس وثاني ملاحظة هي النظرة التفاؤلية المتسامية لهؤلاء الشعراء الذين لم يركنوا لليأس والتشاؤم، وإنما دعوا إلى البناء والعمل التي هي من شيم الشاعر الملتزم بقضايا قومه والمرتبط بواقع أمته، وأحلامها ومطامحها.

إن هذا الموقف يحسب لهؤلاء الشعراء حيث كانوا إلى جانب شعبهم بالرغم من صعوبة الحياة ومتاعبها.

والملاحظة الثالثة هي الإلحاح على الدِّين وهي أن شعراءنا كانوا وباستمرار يلحُون على الدين بحيث لاتكاد تخلوا قصائدهم منه أو من الإشارات التاريخية المتعلقة به كأسماء الغزوات، أو أسماء أعلامه كما إنهم إعتمدوا عليه كثيرا في جانبهم الفني حيث اعتمدواْ عليه كمصدر في ذلك.

-الملاحظة الأخيرة هي التأثر بالموروث القديم(الشعر العربي القديم)بحيث يعتبر هؤلاء الشعراء من أصحاب الاتجاه الكلاسيكي أو التقليدي .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم

1)-ديوان ابن زيدون.شرح وتعليق كرم البستاني دار صادر بيروت. (دط) 1978

2) -ديوان أبي الطيب المتنبي .شرح أبي البقاء العبركي دار المعرفة بيروت.(دط)1978

3)-ديوان أبي فراس الحمداني .شرح وتقديم عباس عبد الساتر دار الكتب العلمية بيروت.(ط5) 2003

4)-ديوان أحمد سحنون . أحمد سحنون المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.(دط) 1977

5)-ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيت عن ابن الأعرابي وأبو عمر الشيباني. شرح أبي سعيد السكري .دار صادر بيروت .(دط) 1981

6)-ديوان العقاد. عباس محمود العقاد. منشورات المكتبة المصرية. (دط-دت)

7)-ديوان اللهب المقدس. مفدي زكرياء.المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.(ط2) 1991

8)-ديوان طرفة ابن العبد. كرم البستاني. دار صادر.بيروت(د.ط)،(د.ت)

9)-ديوان عبد الرحمان العقون.عبد الرحمان الغقون.المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع(د.ط)1980م.

10) -ديوان محمد العيد آل خليفة.تقديم عمر بن قينة.المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر(د.ط)1992م.

11) ديوان محمد العيد آل خليفة .المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة البعث قسنطينة(دط)1968

المعاجم:

11)-الدخيرة في محاسن أهل الجيزة.ابن بسام الشنسريني.تحقيق احسان عباس دار الثقافة.بيروت ط1. 1989

12)-لسان العرب.ابن منظور.دار صادر.بيروت(ط3).المجلد.3. 1994 .م.

13)-المعجم الوسيط.مجمع أساتذة اللغة العربية.مكتبة الشروق الدولية.مصر.(ط 4.).2004م.

14)-معجم مقاييس اللغة.ابن فارس.تحقيق عبد السلام محمد هارون.دار الجيل.بيروت(ط1.) مج 3.1991.

- **المراجع**

1 5)-أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث.د كمال نشأت.دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة.(د.ط)1967 .

16)-أدب المقاومة في الجزائر(1830-1962) رصد لصور المقاومة.د عبد المالك مرتاض.منشورات المركز الوطني(د.ط)ج1. 2003م.

17)-الأسر والسجن في شعر العرب.د أحمد مختار البرزة.مؤسسة علوم القرءان.دمشق.ط1 1985م

18)-أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى.مصطفى بن الحاج بكيرة حمودة مؤسسة مفدي زكرياء .الجزائر(د.ط)2003م.

19)-البناء اللغوي لشعر السجون. مفدي زكرياء وأحمد صافي النحفي لمقران فصيح منشورات بونة عنابة ط1 2008م.

20)-تطور الشعر الجزائري من 1945حتى1980.الوناس شعباني.ديوان المبوعات الجامعية الجزائر(د.ط) (د.ت) .

21)-جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر.الحاجري محمد طه. معهد البحوث والدراسات. القاهرة(د.ط)1968م.

22)-دراسة الأدب العربي.د ناصف مصطفى.دار الأندلس.بيروت.(ط2) 1981م

23)-الشعر الجزائري الحديث.الدكتور صالح خرفي.المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر (د.ط)1969م.

24)-شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر.د سالم المعوش.دار النهضة العربية بيروت(د.ط)2003م

25)-الشعر كيف نفهمه ونتذوقه. ترجمة ابراهيم الشوش.مكتبة منيمة.بيروت(د.ط)1961م.

26)-عالم السدود والقيود.عباس محمود العقاد.منشورات المكتبة المصرية(د.ط)(د.ت).

27)-الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث.د عمر بوقرورة.منشورات جامعة باتنة(د.ط).1997

28)-قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. عبد الله ركيبي.المؤسسة الوطنية للكتاب(د.ط) 1973م.

29) -تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة احسان عباس دار الثقافة.بيروت.(ط2)1969

30)-الشعر الديني الجزائري الحديث.د عبد الله ركيبي .المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.(دط). 1981

31)-الحسبات في الشعر العربي الحديث.سكينة قدور.معهد اللغة العربية وآدابها. جامعة منتوري قسنطينة(د.ط) 2007م.

مواقع إلكترونية:

32)-ملتقى أهل الحديث- مقال لأبي البراء www.ahlhadeeth .

الفهرس

الفهرس

مقدمة:.....أ

مدخل:ماهية شعر السجون.

مفهوم شعر السجون : 2

تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية :.....4

عوامل نشأة شعر السجون.....14

الفصل الأول: شعر السجون في الجزائر.

تمهيد.....17

واقع الحركة الشعرية في الجزائر.....18

شعر السجون في الجزائر.....29

أهم شعراء السجن في الجزائر 35

مكانتهم.....39

الفصل الثاني: شعر السجون في الجزائر. *دراسة موضوعية وفنية* .

مواضيع شعر السجون في الجزائر.....42

خصائص شعر السجون في الجزائر.....58

المعجم الشعري لشعر السجون في الجزائر.....66

مصادر الصورة الشعرية في شعر السجون الجزائري 76

الخاتمة.....**84**

قائمة المصادر والمراجع.....**86**

الفهرست.....**91**